مقدمة

الحمد لله على نعمائه ، وله الشكر على جزيل عطائه وصلاة وسلاماً على رسل الله وأنبيائه .

وبعـــــد،،،

تعد الطبعة الأولى من كتاب "شعر حافظ" بقلم / إبراهيم عبد القادر المازنى ، وثيقة قيمة ، من وثائق النقد الأدبى العربى الحديث،وذلك لأنها الطبعة الأولى والأخيرة ، وهى طبعة فقـــيرة تجارية لم تمتد يد لتحقيقها ، وكشف محصولها من قبل ، وقد نفذت من الأسواق مما يعرضها لأن تكون فى طى النسيان ، ولعل سر إهمالها ، اكتفاء الدارسين بنقد المازنى فى كتبه المطبوعة ، وبما شارك به من جهد مع " عباس محمود العقاد " فى كتابه "الديـــوان فى الأدب والنقـــد" وأصبح الكتاب بعد كل ما سبق وثيقة لها أهميتها فى سباقها التاريخى وفى محصولها النقدى، وكانت فى حاجة ماسة إلى يد تنفض عنها غبار الماضى ، وتجليها للقارئ ، وتقدمها فى ســـياقها التاريخى ، لتأخذ مكانها فى خريطة تطور النقد الأدبى العربى الحديث، وقد قمت بمحاولـــة لدراسة الكتاب وإلقاء الأضواء النقدية على محتواه ومحصوله ، وقد جاء ذلك فى بابين ، قدمت فى الأول منها ، أضواء على "المازنى ناقداً " فى فصله الأول ، وفى فصله الثانى ، ألقـــيت أضواء على " شاعرية حافظ " أما الباب الثانى من القسم الأول ، فقد خصصته لدراســـة الكتاب فجعلت الفصل الأول منهما يتناول "عرض الكتاب ومنهجه" وخصصت "الفصـــل الثانى" لوقفات تقويمية حول محتويات الكتاب.فى محاولة لإماطة اللثام عن محتويات الكتاب وإيضاح ماحواه من لقطات نقدية مثلت ماوصل إليه النقد فى هذه الآونة وهو يحاول البحث عن مناهج ورؤى جديدة فى مضمار النقد الأدبى.

الباب الأول : بين المازني وحافظ

الفصل الأول : المازني " ناقداً "

المبحث الأول " النشأة والتكوين "

فى التعـــريف بالمازني ونشأته وتكوينه لن أعتمد كثيراً على كتابات الآخرين لأن " إبراهيم عبد القادر المازني " قد أغناني عن ذلك ، وأسعفني بأنه تحدث كثيراً عن نفسه ونشأته وعلاقاتـــه ودراسته فى كتابات متعددة ، سأحاول أن أربط بينها لأقدم صورة للمازني كما وصف هو نفسه بنفسه .

يقول المازني " ... ولدت فى ١٩ أغسطس ١٨٩٠م وأبى اسمه ــ أو كان لما كان اسمه ــ محمد عبد القادر المازني وكان محامياً ــ إن كان يعنيك أن تعلم هذا ــ وتعلمت فى المدارس من ابتدائية وثانوية وعالية ، إلى أن تخرجت فى مدرسة المعلمين الخديوية العالية سنة ١٩٠٩م ، وعينتني وزارة المعارف مدرساً للترجمة في المدرسة السعيدية الثانوية ، ثم الخديوية الثانوية ، ثم مدرساً للغة الإنجليزية بمدرسة المعلمين الناصرية ، ثم طلبت الإقالة فى سبتمبر سنة ١٩١٤م بعـــد قيام الحرب الكبرى بشهر ، فراراً من اضطهاد وزير المعارف ، يومئذ لى ، وكان صديقاً لحافظ بك إبراهيم الشاعر الذى انتقدته ، واشتغلت مدرساً للترجمة والتاريخ بالمدرسة الإعدادية الثانوية ، ولما قامت الحركة الوطنية المصرية طلقت المدارس ، وانصرفت إلى السياســـة "(١) ، هـــذا الذى أجمله المازني عن حياته فى إحدى رسائله ، وهذا التاريخ الذى حدده المازني لميلاده ، يوقفنا على أنه ولد فى وقت لم تكن البلاد بعد قد خرجت ، من ذهول صدمة الاحتلال الإنجليزي ، وأن حياته الأولى شهدت خطب مصطفى كامل وحادثة دنشـــواي ثم الحـــرب العالمية الأولى ، وشهدت فترة رجولته ونضجة ثورة ١٩١٩م ، وما تلاهـــا من أحداث ، وهذا يوقفنا على الخلفية السياسية لأحوال مصر فى عصر المازني ، فهو شهد البلاد تقبع تحت نير الاحتلال ، وشهد الصحوات الأولى المبكرة المنادية بجلاء الاحتلال والاســـتقلال ، كما شهد الدعوة إلى صحوة تعليمية ، وقيام الجامعة الأهلية ، وبدء النشاط والتنوع للصحف والمجلات ، كما شهد بدء تكوين الأحزاب السياسية ، وظهور نخبة متميزة ، من أفذاذ مصر ، كالشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا ، وأحمد لطفي السيد ، وجيله من

---

(١) النص مأخوذ من " إبراهيم عبد القادر المازني " د/ نعمات أحمد فؤاد سلسلة الأعلام ع ٩ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٨م ص٧٠ عـن كتاب " مشاهير شعراء العصر " أحمد عبيد جـ١ ص١٣ ـ ١٦ .

هـــيكل للعقاد ، لأحمد أمين لغيرهم . كذلك كانت ريادة التيار الإحيائي فى الأدب ، فشب وريادة الشعر بين شوقي وحافظ أسلاف البارودي ، وريادة النثر بين المنفلوطي والمويلحى ، كما شهد حركة ترجمة بدأت تتسع رويداً رويداً ، ومزجاً للثقافة العربية بالثقافات الأوربية ، بـــدأت بشـــائره واســـتهلالاته ، وبخاصة مع اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، وعلى المستوى الاجتماعـــي شهد الوضع العام الذى يعيشه غالبية المجتمع من فقر وعوز وضيق ذات يد ، ونفاق اجتماعي لذوي السلطة والجاه لكسب مادي أو أدبي ، كما شهد بداية نور غدا يبدد الظلمـــة الـــتى غشت عيون المصريين فأحبطتهم من هول السهام التى ناشتهم ، والمظالم التى لحقـــتهم ، بدأ هذا النور ضمانا يلتف حوله النخبة المثقفة ، ويتشبث به الراغبون فى الحرية والساعين إليها ، فى ظل هذه الأجواء العامة التى أجملنا الحديث عنها كانت نشأة " إبراهيم عـــبد القادر المازني" أما القرية المصرية التى شهدت ولادته ، فتعالى لنستمع إلى المازني وهو يصـــف البيت الذى نشأ فيه ، والبيوت المجاورة له من حوله وكيف أنه نشأ (١) فى بيت عتـــيق على حدود الصحراء وأنه فقد والده صغيراً ، وطغى أخوه الأكبر لأبيه على كل ما تـــرك الأب وأنه لولا جلد أمه وصبرها وحسن تدبيرها لأمور معاشه ، لما استطاع المازني أن يواصل مشوار تعليمه ، ومن ثم حظيت والدته بتقديره واعتزازه الأمر الذى جعله يفضلها على أبيه يقول : " اسمعي ... إنى لم أعرف أبى كما ينبغي أن أعرفه ، فقد مات قبل أن أكبر ، ولكـــن القليل الذى عرفته مضافاً إلى الكثير الذى سمعته منك يقنعني ، بأنه لم يكن يساوي الظفـــر الذى يطير المقص من إصبعك ، وعزيز علىّ أنْ أقول هذا عن أبي ، فقد كان على العمـــوم رجلاً فاضلاً ذا كرامة ، وإن كنت أبخس حقه ، فذاك لأنك عندي بمنزلة لا تدانيها منزلة ـــ أنت خير الناس ، وكل من عداك هباء ... " (٢) ويستمر فى بيان فضل أمه عليه ، تلك الأم التى كان موتها صدمة هجر بسببها بيت أبيه ، فقد كان موت هذه الأم الصالحة أوجع ما أصابنى فى حياتي ، وأعمقه أثراً فى نفسي ، ولقد أبيت البقاء فى البيت الذى وافاها الأجل فيه ؛ لأن كل ما فيه يذكرني بها حتى كدت أجن ... " (٢) ، وهكذا رعته هذه الأم رغـــم فاقتها ، فأتم تعليمه الابتدائي ، والثانوي ، وطمح إلى إكمال دراسته بمدرسة الطب ،

---

(١) خيوط العنكبوت ـ إبراهيم عبد القادر المازني ص٤٦ وما بعدها عن كتاب د/ نعمات فؤاد ـ مرجع سابق ص ٥٣ وما بعدها .

(٢) راجع مقال دوارة فى مجلة الإذاعة عدد ١٢٢١ فى ٩ /٨ / ١٩٥٨ ص٢٠ وما بعدها

(٢) السابق نفسه .

غير أنه تركها غير آبه بعدما أصابه غثيان على إثر دخوله غرفة " التشريح " ، ولم تكن طاقته المالية تسمح بالتفكير فى الالتحاق بالحقوق ، فاتجه إلى مدرسة المعلمين العليـــا ـــ وتفتحت ملكته الأدبية ، وبدأ يقرأ أمهات الكتب الأدبية ، وعيون الشعر العربي إلى جوار ما حصله فى الدراســـة مـــن نصيب موفور من الإنجليزية أتاح له قراءة شعرائها المبرزين مثل " شلي شكسبير ، وغيرهما " . (١)

يحكي المازني " ... ومضت الأيام ـــ يعني الأعوام ـــ وصرت معلماً ، وتسلمت من الوزارة الشهادة لي بذلك ، ولكني لم أفرح بها ، لأن ذلك كان بكرهي كما صار من لا أذكر اسمه فى رواية " موليير " طبيباً على الرغم من أنفه فعينتني الوزارة ، مدرساً للترجمة بالمدرسة السعيدية الثانوية وكنت صغير السن ، ولم تكن لى لحية ولا شارب ... إلى أن يقول " ولكن هـــذه الفاتحـــة لعهدي بالتعليم لم تكن أسعد الفواتح ... ، وقد ظللت أتحين الفرص للنجاة بنفسي فلم تسنح منها واحدة إلا بعد عشر سنوات " (٢) ، وهي التى أشار إليها من قبل ، حول غضب وزير المعارف من نقده لحافظ موضع الدراسة .

وكـــان المازني قد بدأت صلته بالصحافة سنة ١٩٠٧م حين نشر بعض أشعاره فى جـــريدة"الدستور"الذى كان يحررها"محمد فريد وجدي بك"فى ذلك الوقت،ثم كتب فى مجلة البـــيان،التى كـــان يحررها الأستاذ / عبد الرحمن البرقوقي ، مقالات متعددة خاصة عن"ابن الرومـــي"الشـــاعر العباســـي المعروف،كذلك كانت مقالاته حول شعر رفيقه"عبد الرحمن شـــكري"الذى انعقدت الصلة بينهما فى مدرسة"المعلمين العليا" وجره ذلك إلى الموازنة بين" شـــكري وحافظ " الذى تحول إلى نقد عنيف لشعر حافظ فى المقالات التى نشرها فى جريدة "عكـــاظ" ، كذلك كتب فى البلاغ والاتحاد والسياسة،ثم كانت صلاته بالعقاد التى أفرزت جماعة الديوان أو"مدرسة الديوان"والتى تمخضت عن كتاب"الديوان"النقدي،الذى بدأه المازني بمهاجمة المنفلوطي،وأسلوبه الإنشائي،ورأى أنه يقدم ثقافة مسطحة،لا فكراً عميقاً،كما نقلب الحال بينه وبين "شكري" فهاجمه كذلك واتخذ شكل المقالة الصحفية طريقه إلي ذلك ، وحملها ما أراد من فكر جديد ومن سخرية مرة تارة ومن ظرف وخفة روح تارة

---

(١) الأدب المعاصر ـ شوقي ضيف ـ دار المعارف ط٩ بدون تاريخص ٢٦١ .

(٢) خيوط العنكبوت ص ٤٠١ إبراهيم عبد القادر المازني ـ عن كتاب د/ نعمات أحمد فؤاد ـ مرجع سابق ـ .

أخرى[١] . وتحولت هذه المقالات إلى كتب تمثلت فى " حصاد الهشيم " و " قبض الريح" و " صندوق الدنيا " و " خيوط العنكبوت " ، كما اتجه إلى كتابة القصة ففي سنة ١٩٣٢ أخرج قصته " إبراهيم الكاتب " ، وأتبعها بمجموعة قصصية قصيرة هي فى " الطريق " سنة ١٩٣٦م ، ثم " ميدو وشركاه "و"عود على بدء"و"ثلاثة رجال وامرأة "و"ع الماشي "و"إبراهيم الثاني"و"من النافذة"،وله مسرحية واحدة هي" الطاعة أو غريزة المرأة"أما عن صفاته،فقد كان المازني من الناحية الجسدية قصيراً تقتحمه العين،كما كسرت ساقه فسببت له عرجا ظاهراً،لازمه طوال حياته ، ومن الناحية الخلقية فقد كان المازني مرهف الحس والشعور ، دائم التبرم والقلق كما كان خجولاً ، متواضعاً ، خفيض الصوت ، منطوياً على نفسه ، تزوج مرتين ، وأنجب بنتين من زوجته الثانية ، توفيتا صغيرتين فى حياته ، كما عرف عن المازني فكاهته ، لكنها الفكاهة الساخرة ، وانطبعت هذه السخرية اللاذعة فى كتاباته،حتى نستطيع القول أنها لا تفارقه [٢] كما لا يفوتنا أن ننوه إلى أن للمازني ديواناً شعرياً من جزءين ، أخرج الجزء الأول منهما سنة ١٩١٣م ، وأخرج الجزء الثاني سنة ١٩١٦م ، وشعره إفرازاً لرؤيته التجديدية فى الشعر ، يقدم فى ديوانه تجارب نفسية ، وتأملية تجاه الكون والنفس والحياة ، والمآسي البشرية ، فهو شعر وجداني ، لا يحفل بالقضايا السياسية أو الوطنية ، ولا بالدعوات الاجتماعية التى كانت سائدة فى الشعر من حوله ، وإذا كان " شكري " قد سبقه فى إصدار ديوانه " ضوء الفجر " فإن الخط الفكري الذى جمعهما امتد فى دواوينهما .

ولعلى فى هذه العجالة أكون قد قدمت للناقد " إبراهيم عبد القادر المازني " صورة أرجو أن تكون واضحة المعالم عن نشأته وتكوينه ، لما سنرى من أثار هذه النشأة والتكوين فى المبحث التالي .

---

(١) الأدب العربي المعاصر ـ د. شوقي ضيف ـ مرجع سابق ص٢٦٣ وما بعدها .

(٢) لمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة " إبراهيم عبد القادر المازني " سلسلة الأعلام د/ نعمات أحمد فؤاد . مرجع سابق ، كذلك " الأدب العربي المعاصر فى مصر " . د/ شوقي ضيف .مرجع سابق، ص٢٦١ وما بعدها .

المبحث الثاني " رؤاه النقدية "

لازلــت من المؤمنين بأن خلفية الناقد الثقافية والاجتماعية والنفسية هي التى تحدد تــوجهه النقدي ، وموقعه مما يعرض له من أعمال أدبية ونماذج فنية ، إذا كنت من المؤمنين بذلك فإنى سأضع تصوراً لما ينبغي أن تكون عليه خلفية المازني ، قد شكلت رؤاه وحددت توجهه ، وخلفية المازني الثقافية تطلعنا على أنه قد جمع إلى ثقافته العربية ، ثقافة إنجليزية ، بل إنه قد أظهر إعجابه بما رآه عند شعراء الإنجليز من أمثال " شلي ، كيتس ، بايرون .. إلخ" ففي رده على سؤال لمجلة الهلال ، إن كان ما عندنا من الكتب العربية يغني عن اللجوء إلى الكــتب الغربية ، فأجاب " ... إن كنتم تعنون آداب العرب فهي حسنة جميلة ، ولكن الأرض شهدت مئات من الأمم غير العرب ، وما من أمة إلا ولها آداب جميلة حسنة ، بــل إن لبعضها أجمل وأجل وأروع ... ويمضي إلى القول ... فكيف يستغني طالب علم أو أدب بما خلفه العرب ؟ ويختتم جوابه .. ومن العبث والحماقة أن يقول أحد اكتفوا بالموجود أو ضــاعفوه بالنقل والترجمة والتلخيص فما لهذا آخر يعرف ، وأجدى منه وأضف مئونة ، الإقــبال علــى ما عند الغرب بإحدى لغاته "(١) ، وعلى المستوى الاجتماعي فقد عاش المــازني فى وسط اجتماعي يموج بالكثير من المتناقضات ، وهذه المتناقضات قد ألقت بظلال من الشك فى تحقيق العدل ، فرأى فى الهروب منها أمنية ، ولهذا الشك أثره العقلي والنفسي فى وجدانــه يصــف ذلك فيقول : " إنا نعيش فى عصر تفكير عميق ، وعهد قلق عظيم ، واضطراب كبير وشك مخيف .. عصر تعتصر فيه العقول ، ويستنفد فى حيرته مجهود القلب ، وقد استولت الظلمة على عوالمنا السياسية والخلقية والعقلية ، وصارت حياتنا محيطاً زاخر العــباب ، يضــطرب بنا متنه فى عش لياليها المتجاوبة بصيحات الشك والظمأ إلى المعرفة ، والحنين إلى النور "(٢) ، وحياته الخاصة توقفنا على رجل عكرته مرارة الحياة وذاق فاقتها لكن ذلك لم يمنعه من خوض غمارها ، وقد كان لتكوينه البدني الذى جمع فيه إلى قصر القامة ضآلة الجسم فقد كان ضامراً طاوياً كأنه " امرؤ فارغ الثياب " .(٣)

كما أنه رجل حرم نعمة البنين فلم يعقب بعد وفاة بنتيه إضافة إلى أنه صاحب عاهة هــي " العرج " لازمته طيلة حياته ، من أجل كل ذلك خلقت حياته منه شخصية مثابرة ،

---

(١) مجلة الهلال ع٣ السنة السادسة والثلاثون من يناير سنة ١٩٣٧م .
(٢) الديوان ج٢ فى معرض حديثه عن المنفلوطي ص٢٩ .
(٣) فى الطريق ـ المازني ص١٣٥ .

طموحة منطوية منصرفة عن الناس ، قلقة متبرمة ، ساخرة حتى أضحت السخرية طابعاً يطبع أدبه ، استمع إليه يقول " ... وليس يضرني أن أكون واحداً من هذه الملايين التى لا تجد إلا الكفاف ، وأنا أزعم نفسى كفءً للحياة ، بل أدعي أنى خير من هذه الملايين التى هي السواد الأعظم من الناس ، وأقول أنى من معلميها ومرشديها ... " (١) ، ومع هذه الروح المثابرة الطمـــوحة القـــوية الإحساس بذاتها ، لكنه كان منطويا ، لا يرتاد المجالس إلا قسراً يقول " وليس أبغض إلى ولا أثقل على نفسي من أن أراني في حشد كبير من الناس ، ولا أعرف سببا لهذا النفور . ولكي أحس ـــ إذا جالست قوماً فيهم من لا أعرف ـــ كأن يداً تأخذ بمخنقي وتضغط ، فلا أزال أفكر فى الهرب وأحتال للفرار حتى أجد السبيل إليه " (٢) ، كما كان لتكويـــنه البدني ، ولإصابته " بالنير ستانيا " فى شبابه سنة ١٩٢٠م (٣) ، ما جعله عصبي المزاج فى إطار تلك المعطيات التى شكلت توجه " شكري " النقدي ، فقد وجدنا أن المتلقي يحس فى نقد المازنى بشخصيته واضحة قوية وهي شخصية تعلو فيها العاطفة على الموضوعية ، فهو يغالي فى تقريظه لشعر " شكري " ثم يعود ، فينقلب عليه ، ويصفه بأنه صنم الألاعيب ، ثم هو حاد فى نقده ، تغلف حدته سخرية مرة إذا رغب بحث عن المحاسن فأكبرها ، وإن كره تحامل أحرق معه منقوده حرقاً ، ثم يعود فيتراجع عن ذلك ويأسف على هذا الشطط (٤) ، وهـــو فى معظمه نقد ينحو به منحى تطبيقياً ، ولا تغلب عنده النظريات الغربية على ثقافته العربية ، فلا يزال نقده اللغوي والبلاغي فى منظومة مع فكره عن الوحدة العضوية وسواها مـــن المفاهـــيم الجديدة ، وهي يؤكد ذاتية الشاعر ويعني بإبرازها ، كما فعل فى نقده لابن الرومـــي ، كمـــا أنـــه مع احتفاله بثقافته العربية نراه يعاظم من المقاييس النقدية الغربية ، ويـــتحامل على القصيدة العربية ، وعلى الرغم مما يدعيه لنفسه من الحيادية والموضوعية فى نقده يقول " مذهبي فى النقد ، أن أنظر ما فى الكتاب من الإحسان مقيساً إلى جملة ما فيه من العـــيب ، فإذا أربى الإحسان على الإساءة تقبلته وتجاوزت عما فيه من نقص أو مأخذ، وإلا رفضته ، فهو ميزان ينصب وأى كفتيه رجحت أخذت بها ، وهذا مذهبي هو العدل الميسور

---

(١) خيوط العنكبوت ص ٧ ـ ٨ عن كتاب د/ نعمات أحمد فؤاد " إبراهيم عبد القادر المازني " ـ مرجع سابق ص٧٥ .

(٢) خيوط العنكبوت ـ مرجع سابق ص٢٦٨ عن كتاب د/ نعمات أحمد فؤاد مرجع سابق ص٧٨ .

(٣) خيوط العنكبوت ص١٢٠ عن المرجع السابق ص٨١ .

(٤) حصاد الهشيم ـ مرجع سابق ص٤٣١ .

فى وزن الآراء والأعمال والحكم عليها " (١٠) ، على أنه لا يرى كتابا ولا مؤلفاً فوق النقد وهذا أمر جدير بالاعتبار ؛ لأن كتاباً ما لا يخلو من نقص ــ ولو خلا وتلك مرتبة لا تنال ــ لما كان إنسانية " بل أنا أذهب إلى أن من البواعث الخفية على الإعجاب أن يفطن القارئ إلى مواضع النقص ومواطن الضعف ، وأن يحس ولو إحساساً غامضاً أن الكتاب من الكتب على جــلال قدره ، وعظم شأنه ، وندرة مثله وعجز الكثيرين عن الإتيان بما يقاربه لا يخلو من زلات، وعثــرات ووهن هنا ، وسقوط هنا أو إسفاف أو خمولة أو قصور أو تقصير، أو غير ذلــك مما يجــرى هــذا المجــرى ويلحق به " (٢) .

علـــى أنه إن سلمنا أنه ليس هناك عمل إنساني فوق مستوى النقد ، فإن الذى لا نستطيع أن نسلم به ، أن كمال العمل الأدبي أو الفني مما ينغص القارئ والناقد ــ وأن النقد إنما هو مظهر من مظاهر الدفاع عن النفس ــ ونحن بدورنا لا نسلم له بذلك ــ ولكن هذا يــؤكد وجهة نظرنا فى أن خلفية الناقد تعمل عملها فى توجهه ، وما ذكرناه من خلفيات فى حياة وثقافة وشخصية المازني تغزى هذا الدافع ، وهو التوجس الدائم الدافع للهجوم ، وأن الهجوم أمر من أمور الإحساس بالذات أو الدفاع عن النفس " ... شر الكتب الإنسانية أو أشدها استفزازاً للنفس واستثارة لسخطها ، ذاك الذى يشعر القارئ بهوانه ، ويبرز له مبلغ ضعفه وضآلتــه ، وليست ثورة القارئ على الكتاب الذى يكون من هذا القبيل إلا مظهراً مــن مظاهر الدفاع عــن النفــس " (٣) ، وقد قدم لنا المازني أراءه النقدية فى صيغتين ، صـــيغة نظرية ، وهي الأقل ، وتمثلت في مقولات متفرقة ، سواء فى كتاب الديوان ، أو فى تقديمــه لأجزاء ديوانه أو فى ثنايا نقده التطبيقي ، حين تحلو له الوقفات والتعليقات ، وقد مثلت الاتجاه الذى شاركه فيه زميليه " شكري ، والعقاد " وهو التوجه الوجداني الذهني ، فــ " محك القدرة فى الأدب بوجه عام هو تصوير حركات الحياة والعاطفة المعقدة ، ورسم الانفعــالات ، واعتلاج الخوالج الذهنية ، ونحوها وليست غاية الأدب تصوير قشور الأشياء وظواهرها " (٤) ، ويركز كذلك على الاهتمام بالمعاني ذلك لأن " ... الجيد فى لغة جيد فى سواها ، لأنه لا يختص بلغة أو زمان أو مكان ، فمرده إلى أصول الحياة العامة ، لا إلى المظاهر

---

(١٠) مجلة " الكتاب " عدد نوفمبر سنة ١٩٤٥م ص٧٩ وما بعدها .
(٢) مجلة " الكتاب " عدد نوفمبر سنة ١٩٤٥م ص٧٩ وما بعدها .
(٣) مجلة " الكتاب " عدد نوفمبر سنة ١٩٤٥م ص٧٩ وما بعدها .
(٤) الديوان فى الأدب والنقد ج٢ " المقدمة " .

والأحوال الخاصة والعارضة وكذلك الغث غث فى غيرها . (١)

ويقول إن أية النبوغ والبراعة " ... فى قدرته على اختيار التفاصيل المميزة " (٢) ، ونـــراه فى موضع آخر يناقض ذلك ويدلل على رؤيته برأى سانت بيف " ليس الأصل فى الشــعر الاستقصـــاء فى الشرح والإحاطة فى التبيين ، ولكن الأصل فيه أن نترك كل شئ للخـــيال " (٣) ، ثم نراه يعجب بابن الرومي فى نقد له ، وليس بخاف أن ابن الرومي كان شديد الاستقصاء فى شعره.

ودعنا نسير معاً على طريقة المازني فى الاستطراد الذى ميز كتاباته النقدية ، فنقول لك : إن نقود المازني التطبيقية قد تناولت شاعرين من العصر العباسي هما " ابن الرومي " و " بشار ابن برد " لكنه فى أدب القرن العشرين قد وازن بين حافظ وشكري ، ثم نقد شكري والمنفلوطـــي فى الديوان ، وتناول من الكتابات النثرية كتاب " النثر الفني ، لزكي مبارك " وكتابي " الصحائف ، وظلمات وأشعة " للكاتبة " مي زيادة " ، وإذا وقفنا عند اختيار المازني لشـــاعرين من العصر العباسي ، وجدنا أنه انتهج المنهج النفسي فى نقده لهما ، ومن ثم فقد وفّــق فى اختـــيار شاعرين يبرز هذا المنحى فيهم كثيراً ، فابن الرومي بتشاؤمه ، وتطيره ، وبشار بنـــزقه ولهوه وعاهته ، غير أن الملاحظة تسوقنا عن سر الاختيار كذلك ، وهل لهذا الاختـــيار والمـــنهج علاقة بالتوجه النقدي لدى الناقد ، أعتقد ذلك ، على أن الملاحظات الجديرة بالتسجيل والتنويه فى هذا الجانب هو التركيز على شاعرين من الموالي ، والتفريق بين العقلـــية عند كلا الرجلين والعقلية العربية (٤) ، إذ يرى أن عظمة ابن الرومي كانت من ورائـــه ســـلالته الآرية التى قد برأت من أصحاب السلالة العربية السامية من فساد الذوق وشـــطط الـــذهن ، فنجد عندهم الحدة والطغيان والعلو ، ويستطرد فى بيان مزايا وعيوب السلالة العربية فى مقابل السلالة الآرية ، بما يشعرك أنه يتعصب للآريين على عادة أصحاب النظر الشعوبية (٥) ، وكذلك الأمر بالنسبة لــ " بشار " وهذا التحامل الذى جعله يزرى بالشـــعر العـــربي القديم كله ويجرده من سمات الشاعرية ، إنما هو ناتج من إعجابه بالأدب الغـــربي ، وتعبده لمقاييس وبخاصة الشعر الإنجليزي، ونقد " هازلت " وطريقته التى تأثر بها

---

(١) المصدر السابق .
(٢) حصاد الهشيم ـ مرجع سابق ص١٩٥ .
(٣) مقدمة الجزء الثاني من ديوان المازني سنة ١٩١٢م .
(٤) حصاد الهشيم ـ مرجع سابق ص٢٣٢ : ٤٢٢ .
(٥) المصدر السابق وكتاب " بشار بن برد " ـ المازني سنة ١٩٤٤ ص١١٥.

المـــازني (١) ، وقد خص المازني " ابن الرومي " بما يقارب نصف كتابه " حصاد الهشيم " كما أنه خص بشار بكتاب خاص ، ولعله من اللائق أن نقول إنه خص ابن الرومي بفصلين تناول فيهما " سخريته " ، ولعل هذه أبرز خطوط الاتصال بين الشاعر والناقد ، وقد بالغ فى إكباره لابن الرومي فجعله صاحب مذهب فلسفي جامع " له فكرة عن الحياة بخيرها وشرها ، وســعودها ونحوسها ، وقوانينها ومظاهرها وأن يفضي إليك بوقعها الذى لا مهرب منه ، ولا متحول عنه ، وهو ما فعله ابن الرومي " (٢) ، وليس من مقتضيات البحث " تقويم ابن الرومي وشعره ، ولكنها ضرورة العرض لطريقة المازني فى نقده ، وإذا كان المازني قد نوه إلى اهتمام ابن الرومي بالدقائق النفسية ، وأخذ عليه فحشه ، وإن برره له ، فهاهو ذا مع بشار يحلــل ظاهرة الهجاء عنده ، ويبرر له هجاءه ، ومجونه ، بل لا يعد التشابه بين معانيه ومعاني المتقدمين من قبيل السرقات ، بل مما لابد منه بد ، مادامت الإحاطة بكلام السابقين لا معدى عنها للشاعر (٣) ، هذان الشاعران العباسيان هما فقط اللذان خصهما بالدراسة والنقد من الشعراء القدامى ، وأما من أدباء القرن العشرين ، فقد وازن كما ذكرنا بين " شكري " و " حافظ " فى مجلة عكاظ ، ثم جمع هذه المقالات ، وقدمها فى كتاب " شعر حافظ " وهو الذى تحت بصر الدراسة ، وسنعرض له فيما سيأتي بالتفصيل ، كذلك كان " المنفلوطي " واحداً ممن نزلت بهم نقدات " المازني " ، وعدد المآخذ عليه ، فى إطار حملته ورفقاء مدرسة الديوان علــى جيل المحافظين من الأدباء ، وقد أخذ على المنفلوطي طغيان السوداوية ، والمبالغة فى ســكب عــبارات الــبؤس وشــحن مفردات الألم ، كما أخذ عليه احتفاله بالتفصيل فى المحسوســات لا فى الكشـــف عن العواطف المعقدة ، فاكتفى فى نظره بوصف القشور دون الغــوص فى اللـــباب ، كما أخذ عليه " الإسراف فى النعوت " ورأى أن ذلك " من دلائل الضعف وفقر الذهن " ، كما عاب عليه إسرافه فى استخدام " المفعول المطلق " وراح يحصى الأفعال المطلقة التى يستخدمها ، وقد رآه كلف من " المنفلوطي " لا يدري أهي مصادفة أم اتفــاق أن تحظــي قصة " اليتيم " التى تصدرت العبرات بهذا النصيب الموفور من الأفعال المطلقــة . (٤)

---

(١) فى الأدب الحديث / عمر الدسوقي ج٢ ط ـ دار الفكر العربي ص٢٧٨.
(٢) حصاد الهشيم ص٤٠٨ .
(٣) بشار بن برد ـ مرجع سابق ص١١٥ وما بعدها .
(٤) ما سبق فى نقد المنفلوطي " الديوان فى الأدب والنقد " مرجع سابق ص٥ وما بعدها

وعلى كل لا يغيب عن بالنا طريقة المازني فى شدة وطأة التحامل فى نفده ، وليس أدل علـــى ذلك من أن " المفعول المطلق " الذى رأه عند المنفلوطي عيبا يعزل من قدر عمله لكثـــرة استخدامه له نراه يعلي من قيمة المفعول المطلق فى كتاب آخر هو " قبض الريح " ، يقول " الواقع أن هذا المفعول يمثل فى تاريخ النشوء اللغوي خطوة انتقال اتسع بعدها الأفق ، ورحب على إثرها المجال ، وتفتحت أبواب التعبير المغلقة ، ومن شاء أن يقدر فضل المفعول المطلق على اللغة وعلى العقل الإنساني أيضاً فليتصورها مجردة منه ، ولينظر إليها كيف تعود أو إلى أى حد تضيق " . (١)

كما ينبغي أن نذكر ملاحظة هنا جديرة بالتسجيل ، وهي استخدامه للاستطرادات الـــتى كانـــت عادته فى الكتابة ، على وجه يهرب به من مواجهة المنقود ، كما فعل فى نقد كتاب " النثر الفني " لزكي مبارك ، وكما فعل فى نقده لكتابي " الصحائف وظلمات وأشعة " وقد كان يتعمد ذلك تحابثاً منه ، وهرباً من مجابهة المنقود برأيه الجارح " (٢) ، وقد نقد بسخريته المعتادة الدكتور " طـــه حسين " فى مواضع ومواضيع مختلفة (٣) ، وأعتقد أننى لست فى حاجة إلى مزيد من البسط حول هذه النقود أو غيرها ، فأعتقد أنه قد استبان منه لـــنا طريقته فى النقد ، ورأينا أن موقفه الشخصي قد يتدخل ، أو موقفه الفكري قد يكون سبباً للتناول ، أو هما معاً يكونان سببا للتناول أو التحامل ورأيناه فى معظم نقداته يمزج بين النقد اللغوي ، والنظريات النقدية الحديثة ، وأنه كطبيعة شخصيته يتدفق مطرياً ، أو يندفع مزرياً ، وهو مع إدراكه للمعايير الأدبية كان للتأثرية فيه نصيب كبير ، فإذا تحدث عن ابن الرومي جاوز الحد فى التقدير ، وإذا نقد حافظاً جرده من الحسنات ، إذا أراد المجاملة سكت بالاستطراد إلى موضوع آخر ، ومن ثم " فالمازني أدنى إلى الفنان فى نقده لا لممارسته الأدب فحســـب " (٤) ، ومن هنا فإن " مزاجه الفنى كان يدفعه إلى الإقبال أنا ، والنفور حينا ، وإلى المبالغة فى الأحكام ، وقيام هذه الأحكام على علاقاته بمنقوديه " (٥) .

أرجـــو أن أكون قد قدمت فى هذا الفصل صورة ضافية للمازني الناقد ، تعيننا فى تبصر طريقنا ، ونحن ندلف إلى مراجعته فى نقده لحافظ .

---

(١) قبض الريح ـ مرجع سابق ص١٥٦ .
(٢) فى الأدب الحديث / عمر الدسوقي ـ مرجع سابق ص٢٨٤ .
(٣) راجع : قبض الريح ص٢٨ وما بعدها .
(٤) إبراهيم عبد القادر المازني د/ نعمات أحمد فؤاد ـ مرجع سابق ص٢٧٤.
(٥) السابق نفسه .

الباب الأول : الفصل الثاني

" شاعرية حافظ "

أولاً : نبذة عن الشاعر :

ليس من العسير التعريف بالشاعر " حافظ إبراهيم " فسيرة حياته ، مبثوثة منشورة فى العديـــد من الكتب والدراسات ومن هنا سوف نجتزى الحديث عنه فى الخطوط العريضة لحـــياته ، ممـــا كان له أثر فى تكوين شاعريته ، وما اثر على توجهه الشعري مما يكشف عن السمـــات الفنية الخاصة بالشاعر ، وسوف أعتمد على كلام معاصريه ، خاصة وأن النص الذى نحققه لواحد من معاصري " حافظ " لنكشف عن سر تفرد " المازني " بالهجوم عليه ، وهل مثل ذلك عملاً فردياً من " المازني " أم رؤية عامة لمعاصري حافظ حول فنه الشعري .

ولد " حافظ إبراهيم " فى " دهبية " على صفحة " نيل مصر " أمام بلدة " ديروط " مـــن أعمال محافظة " أسيوط " حيث كان والده " إبراهيم فهمي " يعمل مهندساً مشرفاً على قناطر " ديروط " من أم تركية تدعى " هانم بنت أحمد البورصه لى " مات أبوه فى السنة الـــرابعة فكفلـــه خاله ، وبدأ رحلة تعليمه تحت كنفه من الكتاب ، إلى المدرسة الأولية ، ثم الخديوية الثانوية (١) كما كان يختلف إلى الجامع الأحمدي (٢) بـــ " طنطا " بعد نقل خاله إلـــيها ، وصـــارت له هناك علاقات وصدقات ، بل وتلقى فيه دروساً دينية ولغوية ، وقد تفـــتقت شاعريته ، فراح يطارح أصدقاء الشعر ، ويروي لهم الطرف والملـــح ، وأهمـــل دروســـه المدرسية ، مما جعل خاله يضيق به ذرعاً ، فتركه ، وهو يردد :

ثقلـــت علـــيك مـــؤونتى ... إنى أراهـــــا واهـــــية(٣)

فافـــرح فـــإنى ذاهـــب ... مـــتوجه فى داهـــــية

وبـــدأ يتكسب قوته من العمل الحر ، وقد وجد فى المحاماة بغيته ، فقد كان تعتمد

---

(١) مقدمة ديوان حافظ ، الطبعة الثانية بقلم " محمد إسماعيل كاني " ، زوج شقيقته " عائشة " ص١٨ ، وما بعدها بتفصيل هناك ، طبع ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠م ح١ ، ط٢ ، ومقدمة ط١ ح١ بقلم " أحمد أمين " ص٥٣ وما بعدها .

(٢) بتصـــرف مـــن مقـــال " صـــفحة مجهـــولة مـــن حـــياة حـــافظ " بقلـــم صـــديقه " عبد الوهاب النجار " ، مجلة " أبوللو " عدد خاص فى ذكرى حافظ ص١٣٢٢وما بعدها [١٨٧١ ـ ١٩٣٢م ، مطبعة التعاون] .

(٣) السابق نفسه .

على قوة العارضة ، وحسن الأسلوب ، لا على الشهادات القانونية ، فالتحق بأحد مكاتبها ، لكنه سرعان ما ملها وتركها مودعاً غير أسف بعد خلاف بينه وبين الشيخ " محمد الشيمي " صاحب المكتب الذى يعمل به ، ويترك له بيتين من الشعر أيضاً :

جراب حظي قد أفرغته طمعا بباب أستاذنا الشيمي ولا عجبا (١)
فعاد لي وهو مملوء فقلت له مما ، فقال من الحسرات ، واحربا

ثم انتقل إلى مكاتب أخرى ، غير أنه لم يطق صبراً على هذا العمل ، ويبدو أن حافظ كان ملولاً ، لا يطيق البقاء على شأن واحد " كان المرحوم حافظ ملولاً ، فكان قليل الكتابة ، وكان لا يأنس إلى كتابة شعره مكتفياً بإملائه عن ذاكرته القوية " (٢) ، ولهذا ولما تتطلبه مهنة المحاماة من الصبر وكتابة المذكرات ، إضافة إلى قلق نفس حافظ ، تركها ورحل إلى القاهرة ، حيث دخل المدرسة الحربية ، التى تخرج فيها سنة ١٣٠٩هـ ، وعين ضابطاً فى الجيش المصري واتصل بالشيخ " محمد عبده " مفتي الديار المصرية آنذاك ، ونال سخط الإنجليز فنقل إلى السودان ، ولما لم تشفع وساطات الشيخ " محمد عبده" فى رجوعه إلى مصر ، استقال من الجيش ، وودع الوظيفة غير آبه : (٢)

خرجت من الوظيفة بعد جهد خروج الحمد من صدر اللئيم

حاول العمل فى جريدة " الأهرام " فسدت منافذها دونه فلزم الشيخ " محمد عبده " ، وكان من نتاج هذه الملازمة أن تعرف على صفوة من رجالات مصر آنذاك أمثال " سعد زغلول وقاسم أمين ، وحسن عاصم ، ومصطفى كامل ، ولطفي السيد ... وغيرهم " ، لكن هذه البيئة لم تمنعه من ملازمة أبناء طبقته البائسة أمثال الشاعر " إمام العبد " كذلك لم تمنعه من أن يظل على اتصال دائم بالمقاهي الشعبية ، يرتادها ، ويغشاها وبعد طول تبرم وقلق ، عاد إلى قفص الوظيفة فى القسم الأدبي بدار الكتب المصرية ، لكن الوظيفة هذه المرة ، لم تستطع أن تغل لسانه ، خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وفوران ثورة ١٩١٩م

---

(١) "صفحة مجهولة من حياة حافظ " مقال سابق ص ١٣٢٢ وما بعدها .
(٢) مجلة أبوللو ـ عدد خاص فى ذكرى حافظ ـ عبد الوهاب النجار ـ مرجع سابق . ص ١٣٢٢ .
(٢) " ساعة مع حافظ بك إبراهيم " ، مجلة الهلال ح٨ سنة ١٩٣٦م عدد أول يونيو سنة ١٩٤٨م ـ ١٣ ذى الحجة سنة ١٣٤٦هـ .

، وقـــد مات رحمه الله فى السنة التى خرج فيها إلى المعاش سنة ١٩٣٢م ، وظل شعره يملأ حنجرة الأمة إلى الأبد وسيظل . (١)

تلك هي الخطوط العريضة فى حياة " حافظ إبراهيم " .

ثانياً : مكونات شاعريته :

إن الأساس الذى ينطلق منه الإبداع الشعري هو الموهبة الطليقة والملكة المواتية ، وقد كان نصيب " حافظ إبراهيم " منها موفوراً ، فقد ظهرت مواهبه لقرض الشعر مبكرة ، ففـــي ســـؤال لمجلة الهلال " هل تذكرون كيف نزعتم إلى الشعر ؟ قال : لا أذكر ذلك إنما أعرف أنى وأنا تلميذ كنت أنظم ، ولا أذكر شيئاً مما نظمته فى صباي " (١) ، وهذه الموهبة الطيعة تجلت فى طريقة نظمه إذ كان يستطيع أن ينظم قصيدته فى نفسه حتى يتمها ، ثم يأتي موعد إلقائها ، فلا يجد الصحافيون بداً (٢) ، من متابعة إلقائه لتدوين القصيدة منه مباشرة ، لأنه لا توجد وسيلة أخرى لنشرها غير ذلك لأنها ليست مدونة .

غير أن الموهبة وحدها قد تموت إذا لم تولد فى ظروف تهيئ لها أن تنطلق ، وقد تهيأ لموهـــبة " حافظ " ما ساعدها على الانطلاق ، ومن ذلك " المكونات البيئية " ثم " المكونات الثقافية".

" المكـــونات البيئية " ، علمنا أن " حافظاً " قد ذاق اليتم صغيراً ، وأنه قد كفله خالـــه ، الذى برم من تصرفاته ، فترك له " حافظ " المنزل ، وحاول الاعتماد على نفســه ، وعـــرفنا أن نفسه القلقة لم تبق معه على حال ، فترك كل عمل توجه إليه ، وظل بلا عمل فترات طويلة ، وكان لكل هذه الأحداث أثرها البليغ فى نفسه ، كيف وهو شاعر مطبوع ، مـــرهف الحـــس ، رأى أن الزمان قد قسى عليه فهو دائم التبرم والشكوى ، فخلفت هذه الأحداث أثارها على هيئته ، فأنت تراه جاداً متجهما ، صاحب تضاريس وجه قاسية ، غير أنه أفرغ موجدة هذه النفس الثائرة فى شعره ، ليخفف من وطأتها على نفسه ، غير أنه أخفى آلامـــه ، وارتدى قناع الفكاهة والظرف فوقها ، فكنت " إذا تأملت حافظ إبراهيم بك ولم تكن تعرفه ، عرتك نبوة من هيئته الجافية ومعارف وجهه القاسية ، ولكنك ما تكاد تشرع

---

(١) راجع تفصيل هذه الأحداث من حياة حافظ وتفاصيل أخرى من مقدمة ديوانه ـ مرجع سابق ص ١٨ ـ ٣٠ .
(١) مجلة الهلال ـ مصدر سابق .
(٢) مقدمة الطبعة الثانية ص٣٤ ـ مرجع سابق .

معه فى الحديث حتى تود لو تقوم وتعانقه ، فهو الإيناس والصراحة ، والتفتح والفكاهة ، قد جمعـــت كلها وصقلت بالأدب ، وإذا تعمقت معه فى الحديث ، وخالطته اليوم بعد اليوم ، لألفيت نفساً تذوب عذوبة ورقة وسخاء ، كأنها الجوهرة المكنونة فى الصدفة الغشيمة" (٩) ، فـــإذا ضــــممنا إلى ما لحق " حافظاً " نفسه من البؤس مشاهداته ، وقد كان لصيقاً بالبيئة الشـــعبية المصرية ، وكان واحداً من رواد مقاهيها ، وصديقاً لمن أدركتهم حرفة الأدب من مثل " إمام العبد " وغيره ، وإذا كان الذين عرفهم من طليعة المثقفين فى دار الشيخ " محمد عبده " قد فتحوا عينيه على القضايا الوطنية والاجتماعية ، فلاشك أن هذه الموهبة وجدت البيئة الصالحة للإنبات بل للتفتح والإزهار ، وكان " المكون الثقافي " هو سلاح هذه الموهبة ، وإذا كنا قد رأينا حافظ ، قد قعدت به دراسته عند حدود المدرسة الثانوية ، وأن دراسته بعد تحولت إلى دراسة حربية ، فلا ننسى أن حافظاً عرف دروس " الجامع الأحمدي " ، وما فيه من دروس لغوية ، وأدبية ، ولعلنا لا ننسى أن موهبته ولدت فيه ولوعاً بقراءة الشعر ، بـــل واســـتظهاره فقـــد استطاع حافظ أن يعيد تشكيل ثقافته الشعرية من خلال ما قرأ وتذوق من فنون الشعر العباسي على وجه الخصوص ، فهاهو ذا فى مقدمة الطبعة الأولى من ديوانه ، والتى قدمها بنفسه ، يطلعنا على معرفة غير قليلة بأصول ذلك الفن ، كما يقدم لنا من خلال رؤيته فى شعراء سابقين قرأ دواوينهم ، وكون له رأياً فيها ، يقدم لنا نموذجاً لثقافته التى حصلها يقول " ... ومن اطلع على شعر المعري ورسائله علم أنه شاعر فى نظمه ونثره ... ولا أعـــرف شاعر استطرد به جواد الإسهاب ، وسلم من العثار مثل ابن الرومي، ذلك الـــذى كان أطول الشعراء نفساً وأكثرهم غوصاً على المعاني ، ولقد دققت النظر فى شعر بشار بن برد فألفيت فيه الرصانة والتجويد ، وبناء القافية على الأساس المتين ، والجمع بين متانة البدو ، وسلاسة الحضر ، وأكثرت فى مطالعة شعر مسلم بن الوليد ، فعلمت أنه يجرى مع ابن برد فى ميدان واحد وسرحت الطرف فى شعر أبي نواس ، فرأيته ، حلو الفكاهة إذا هـــزل ، مـــر المراس إذا جد ، وهو إذا صحا كان أكثر الشعراء تفنناً فى ضروب الكلام ، ورجعـــت البصر فى شعر " أبي تمام " فألفيت فيه كثرة الابتداع ، والقدرة على الابتكار ، ورأيت فى جيده مالم أره فى جيد غيره ، من حسن الصياغة ، وبعد الغاية ، وأمعنت النظر فى شعر البحتري ، فلمحت فيه حسن الديباجة ، وطلاوة الانسجام ، وأكثرت التأمل فى شعر "

(٩) مجلة الهلال " ساعة مع حافظ بك إبراهيم " - مصدر سابق .

أبي الطيب " ، فإذا شعره حس يتفزز ، ولم أر فى الشعراء نفساً أعلى من نفسه ولا طريقاً إلى المعالى أخصر من طريقه ، وخير شعره ، ما كان فى الحكم والأمثال ... ولقد ذهب الشريف الرضي بحسن اختيار اللفظ وصقله ، وسلامة الذوق فى انتقاء المفردات والأساليب ، وجمع متنبى الغرب " ابن هانئ الأندلسي " فى شعره بين جزالة العرب ، ورقة الأندلس ، وانفرد ابن المعتز ، بحسن التشبيه ، واختص " العباس بن الأحنف " برقة الشعور ، وحلاوة التركيب ولم أر فيمت ذكرنا من يداني شيخ المعرة فى صفاء الذهن وقوة الذاكرة ، وسعة الإطلاع ، وغزارة المادة ... " (١) ، وقد رأيت ألا أجتزئ النص ، لأنه مع طوله يكشف لنا عن ثقافة شعرية عميقة تخيرت من أرباب الشعر أعلامه ، ولم تكن قراءة سريعة عجلى ، أو قراءة غير واعية ومتدبرة ، بل رأيناه قد أخرج من كل شاعر أبرز ما فيه ، ولا يأتي ذلك إلا بعد معايشة ، ومعاودة نظر ، وقد حاول حافظ أن يضم إلى ثقافته العربية ، ثقافة غربية فحاول تعلم الفرنسية لأنه يدرك أهمية الإطلاع على الآداب الأجنبية ، يقول " كل لغة تكفي أبناءها فى الأدب ، ولكن الوقوف على أسرار اللغات الأخرى ، يزيد الأديب بصيرة فى الأدب وسعة فى الإطلاع ، وهو لو جهل هذه اللغات الأجنبية لبقى أديباً ، وإنما يكون أدبه محدوداً أو ناقصاً ... "(٢) ، ولكنه تعلم اللغة الفرنسية بما مكنه من الإطلاع على شيء من آدابها ، فترجم البؤساء لـ " فيكتور هوجو " وبعض قطع لـ " جان جاك رسو" ... إلى غير ذلك ، لكنه على حد وصف " أحمد أمين " له " لم ينل حظاً وافراً من الأدب الغربي ، ولم يكن أثر ذلك كبيراً فى شعره ، إنما شعره ـ على الأكثر ـ نتاج الأدب العربي ، والثقافة العربية ، والتجارب الشخصية " (٣) ، فإذا أضفنا إلى ما سبق خبرة واسعة بالحياة اكتسبها فى رحلة صراعه معها ، تكون هذه المكونات جميعاً ، خرجت لنا شاعراً فى حجم " حافظ إبراهيم " .

ثالثاً : مقومات شعره :

كان " حافظ " واحداً ممن ورثوا البارودي ، فهو من الجيل التالي له يقطع صلته كلية بميراث الشعر العثماني بل والمملوكي ويحلق فى سماء الدوحة العباسية ، وقد أشبه أستاذه

---

(١) مقدمة حافظ للجزء الأول من ديوانه ، بشرح محمد هلال إبراهيم ، مطبعة التمدن سنة ١٩٠١م / ١٣١٩هـ .

(٢) ساعة مع حافظ بك إبراهيم ـ مجلة الهلال ـ مرجع سابق .

(٣) مقدمة الطبعة الأولى من ديوان حافظ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مرجع سابق ـ ص٧٢ .

فى أمور كثيرة فقد كان محارباً من أبناء القوات المسلحة ، كما أننا رأيناه مثل البارودي يثقف نفسه بنفسه من خلال مطالعة واستظهار عيون الشعر العربي التى كونتهما ، غير أن حافظ بدأ حياته الشعرية مقلداً ، فالمتصفح للطبعة الأولى [١] من ديوانه والتى قدمها بنفسه ، وخرجت إلى النور فى نوفمبر سنة ١٩٠١م يجد أنه نهج منهج التقليد ، ولم يكن قد اختط لنفسه توجهاً شعرياً بالرغم من المقدمة التى تصدرت ديوانه ، وتحدث فيها عن خصائص الشعر الجيد ، وما تفرد به أقطاب الشعر العربي من مزايا ، فقد قسم ديوانه إلى ستة أبواب هي " المديح وشكوى الزمان والوصف والخمريات والمراثي ، وعدد من المقطعات الشعرية ، لكنه جرى فى شعره على جرى أكثر شعراء هذا العصر من التقليد والمحاكاة للنماذج الشعرية القديمة ، فسرت فى أشعاره روح الأوائل " وبقى أسير التقليد ، مكبلاً بسلاسل الاحتذاء ، ومحصوراً فى أبواب لا يتجاوزها ، وأساليب لا يتعداها " [٢] ، ولا نجد فى ديوانه ما استطاع أن يعبر " حافظ " فيه تعبيراً خاصاً عن نفسه إلا فى باب " شكوى الزمان " ، ولعله لخصوصيته فى نفس الشاعر ، خرج نسمات تسبح فى خيال الذات وظروف الحياة " لكن المسلك الجديد الذى خطه فى المقدمة ، لم يستطع استطراقه فى بعض مدائحه ومراثيه ، وأكثر خمرياته ومقاطيعه ، وكأنه لم يقو على استئصال شأفة التقليد من ذهنه ، فأتاه سهواً ، أو اضطراراً ، وجاء نظمه فيه كلاماً موزوناً لا شعراً شاعراً " ، فبكائيات الأطلال ، وافتتاحيات الخمر والمبالغات الموغلة فى الإحالة ، والمعاني التى تنازعها الشعراء ، نحن نحكم حكماً عاماً لا مطلقاً ، وفقد جاءت بعض مقطوعاته أو قصائده على غير ما وصفنا ، لكن الحكم دائماً للأغلب ، وليس من منهجنا نقض شعر حافظ ودراسة نماذجه ، بالقدر الذى نبحث فيه عن قدرته الشعرية ، والخط البيانى لشعره على خارطة عمره الإبداعي ، وهذا ما حدا إلى قول أسعد داغر فى نهاية مقال له فى المقتطف بعد استشهاد بأمثلة من شعر الديوان " فالناقد البصير يرى منظومات شاعرنا البليغ مشهداً للشعر الحديث الذى أراد وتوخاه ، ومثالاً للشعر القديم الذى تنكبه ، ولكنه أتاه ، وقد لا يود أن يكون أتاه " [٣] ، وهو ما يؤكده " شوقي ضيف بقوله " وشعره فى هذه الفترة لا ينم على نضج فنه ، فهو لا يتجاوز

---

(١) ديوان حافظ ط١ مطبعة التمدن ـ مرجع سابق .

(٢) المقتطف ح١١ مجلد ٢٦ ص٩٤٥ مقال ــ أسعد داغر نوفمبر سنة ١٩٠١م فى تعليقه على الجزء الأول من ديوان حافظ عقب صدوره .

(٣) المقال فى المقتطف ح١١ مجلد٢٦ ص٩٩٥ وما بعدها .

بـــه المديح والتهنئة والتعزية لبعض أصدقائه ، وأثر التكلف واضح فيه فهو يبالغ على طريقة القدماء فى معانيهم ، ويتخذهم نماذج له يحاول أن يحاكيهم " (١) ، غير أن " شكوى الزمان " نســـتطيع أن نعــده الباب الذى دخل به " حافظ " عالم الشعر ، فيرق أسلوباً ، وتعزف قيثارته حزن نفسه ، حتى لكأنك ترى حظه العاثر ، الذى لا يرى مفراً منه سوى الخلاص من هذه الحياة :

عجـبت لعمـــرى كيف مد فطالا ... ومـــا أثـــرت فـــيه الهمـــوم فـــزالا

وللمـــوت ، مـــا لي قد أراه مباعداً ... وجـــل مـــرادي أن أوســـد جـــالا

فللمـــوت خـــير من حياة أرى بها ... ذلـــيلاً وكـــنت الســـيد المفضـــالا

ومن نستطيع أن نقول مطمئنين إن " الشكوى الشخصية من الزمن وحياة الضيق والعسر الموضوع الأول الذى افتتح به حافظ حياته الفنية " (٢) .

ثم تــأتي مرحلة تالية بعد إخراجه للديوان ، وبعد أن أحيل إلى الاستبداع فى سنة ١٩٠٣م ، وهي مرحلة " يبدو متردداً فى الطريق التى سينهجها لشعره ، تارة ينافس الشعراء القـــدماء فى موضوعاتهم التقليدية من غزل ومديح ورثاء ، وتهنئة ، وعتاب ووصف للكاس والطـــاس ، وتارة ينفصل عنهم ليصور همومه وهموم أمته إزاء الاحتلال ، وحاول أن ينظم مقطوعات فى وصف الطبيعة ، ولكنه أحس من أعماقه أنه ليس شاعر طبيعة ولا حب وخمر ومناســـبة عارضة " (٣) ، ولكن ما إن تأت حادثة " دنشواي " (٤) حتى يحسم أمر تـــردده ، وتـــندفع من داخله كوامن وطنيته ، ويتعدى الخطوط الحمراء ، ويقطع الأسلاك الشـــائكة ويقـــف إلى جوار طبقة المطحونين التى ينتمي إليها ، ويشارك بقصائده فى مراحل النضـــال القومي ، والجهاد الاجتماعي ، سعياً إلى خلاص من الاحتلال ، وإلى حياة أفضل لشعبه ووطنه ، فتحول بمدائحه إلى رموز النضال القومي ، وأحيا كل مناسبة ، تقدم جديداً فى أرض الكـــنانة ، وصارت محافل قصائده ، منتديات يؤمها كل طوائف الشعب المصري ،

---

(١) فصول فى الشعر ونقده ـ د. شوقي ضيف ـ دار المعارف ط٢ ص٣٥٠ بدون تاريخ .
(٢) فصول فى الشعر ونقده ـ مرجع سابق ص٣٥٠ .
(٣) المرجع السابق ص٣٥٢ .
(٤) إحدى قرى محافظة المنوفية ، وتمت بها الحادثة الشهيرة سنة ١٩٠٦م .

فتيمور ، فى معرض حديثه عن بعض ذكريات شبابه يقول : " وأذكر أنى كنت فى عهد الصبا أحرص على شهود المحافل التى يلقى فيها شاعر النيل قصائده الشعبية فى الشئون الاجتماعية والسياسية العامة ، وكان الشاعر ــ كعهده ــ يؤثر أناقة اللفظ ، وجزالة العبارة ، حتى ليفتقر النشئ المتأدب فى فهم كلماته إلى معجم ، وأنا ــ يومئذ ــ قليل الزاد من الفصحى ، ولكنني على الرغم من ذلك ما أكاد أستمع إلى حافظ ينشد ، حتى أحس معانيه تنساب إلى نفسي وإذا أنا أداجه وأسايره بعاطفتي وشعوري ، ذلك لأن الموضوعات التى يعالجها الشاعر كانت ملء أسماعنا ، والأحداث التى يستوحيها تشغل بالنا "(١) ، ويستطرد تيمور " ولم يكن جمهور حافظ من المثقفين خاصة ، وإنما كان خليطاً من طبقات الشعب يفهمون عنه ، ويتأثرون به ، ويصفقون له فى صدق وإيمان " ، والشهادة التى يقدمها " تيمور " توقفنا على أهم مقومات شعر حافظ فيما سلكه من إبداع مرحلة ما بعد " دنشواي " تقريباً ، وهذه المقومات أنه على المستوى الموضوعي كانت " قصائده الشعبية فى الشئون الاجتماعية والسياسية " وعلى مستوى التشكيل الفني " كان كعهده يؤثر أناقة اللفظ وجزالة العبارة " وعلى مستوى التأثير لم يكن جمهوره " من المثقفين خاصة ، بل كان خليطاً من أبناء الشعب " ، وإذا كنا لا نوافق تيمور على ما أورده ، من صعوبة شعر حافظ ، فقد عرف حافظ أن جمهوره من عامة الشعب ، فعمد إلى تسهيل لغته ، وتبسيط أسلوبه ، إلى الحد الذى اتهم بأنه يستخدم لغة الصحف اليومية ، لكن الذى لا نخطئه أن حافظاً كان صورة لعصره يعايش ما يضطرب فى نفوس معاصريه ، ويعبر عنه تعبيراً شعرياً رائقاً ، ففي حادثة دنشواي يقول ساخراً : (٢)

أيها القائمون بالأمر فينا ... هل نسيتم ولاءنا والودادا

خفضوا جيشكم وناموا هنيئاً ... وابتغوا صبركم وجوبوا البلادا

وإذا أعوزتكم ذات طوق ... بين تلك الربى ، فصيدوا العبادا

---

(١) دراسات فى القصة والمسرح ـ محمود تيمور ـ مكتبة الآداب بالجماميز بدون تاريخ . ص١٨٣ .

(٢) ديوان حافظ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ / ج٢ ص٢٠ .

وفى جانب البر ورعاية الأطفال :[١]

أنقــذوه إن فى شــقوة الطفــــــ ـــــل شــقاء لــنا علــى كــل حال

أنقــــذوه فــــربما كـــــان فـــيه مصـــــلح أو مغامــــــر لا يـــــبالى

شـــاع بـــؤس الأطفال والبؤس داء لـــو أتـــيح الطبـــيب غـــير عضـــال

ويعبر عن سخط من حوله وتبرمهم من الخنوع والنفاق الذى استشرى فى النفوس :[٢]

فمـــا أنـــت يـــا مصر دار الأديب ولا أنـــــت بالـــــبلد الطـــــيب

أيعجـــبني مـــنك يـــوم الـــوفاق ســـكوت الجمـــاد ولعـــب الصـــبي

يقولـــون فى النشـــئ خـــير لـــنا وللنشــــئ شـــر مـــن الأجـــنبي

وحتى لا يطبق الإحباط على النفوس ، يذكر بهمة مصر وأمجادها :[٣]

وقـــف الخلـــق ينظـــرون جمـــيعاً كـــيف أبـــني قـــواعد المجـــد وحـــدي

وبـــناة الأهـــرام فى سالف الدهر كفـــوني الكـــلام عـــند الـــتحدي

وحين يتآمر المتآمرون على اللغة ، تأتي قصيدته على لسان اللغة العربية :[٤]

رجعـــت لنفســـي فاتهمت حصاتي ونـاديـــت قومـــي فاحتســـبت حـــياتي

رمـــوني بعقـــم فى الشباب وليتني عقمـــت فلـــم أجـــزع لقـــول عـــداتي

وعلى هذا النحو ، يمضي معبراً عن روح شعبه ، فإذا مدائحه ومرثياته موجهة فى

---

(١) ديوان حافظ ـ المصدر السابق ج١ ص٣١١ .
(٢) المصدر السابق ج١ ص٢٥٦ .
(٣) المصدر السابق ج٢ ص٨٩ .
(٤) الأدب العربي المعاصر فى مصر . د/ شوقي ضيف ـ دار المعارف ط٩ بدون تاريخ ص١٠٩ .

معظمها إلى دعاة الإصلاح ، ورواد التعبير ، المعبرين عن روح الأمة ، وقد استطاع أن يخلع قـــدراً من الجدة على هذه الموضوعات التقليدية لم تتح لكثير من معاصرين وأبناء مدرسته ، واستطاع أن يخلق اللغة الملائمة لموضوعاته تلك مما جعل أشعاره تسير فى الناس مسير الضحى ، فيهتدي بها الرائح والغادي ، " وهو تجديد يستجيب فيه لبيئته وعصره "[١] صحيح أن لـــه من الإخوانيات والخمريات والغزليات ، التى غلب روح المحاكاة والتقليد عليها ولكن معظمها كانت فى مرحلته الأولى وهذه عادة ما تكون بين الشعراء جميعاً يقنفون أثر الأقدمين ، فيأخذهم الإعجاب بهم إلى محاولة محاكتهم ، غير أن حينما تتضح للشاعر رؤية يتوجه إليها يتضـــح خطه الشعري ، وهي قليلة إذا قيس بالحجم النهائي لما بين أيدينا من شعر حافظ فى جـــزءيه ، وبعمل إحصائي دقيق نستطيع أن نستبين حجم هذه الأشعار بالقياس إلى مجموع أشعاره ، وأيضاً وبالعملية الإحصائية ذاتها ، سقطت مقولتـــه :

إذا تصفحت ديواني لتقرأنـــــي

وجدت شعر " المراثي " نصف ديواني [٢]

فالحق أن الرثاء فى شعره قد جاء فى المرتبة الثانية ، وتصدرت المدائح والتهاني هذه الحصيلة الشعرية .

الغرض الشعري	عدد قصائده	مجموع أبياته
المدائح والتهاني	٦٧	١٥٤٦
المراثي	٥٠	١٣٧٨
السياسات	٣٨	١١٤١
الإخوانيات	٢٨	٣٨٥
الوصف	١٧	٣٥٤
الشكوى	١٣	١٢٤
الخمريات	٦	٥٩
الغزل	١٠	٢٩
الأهاجي	١٠	٢٤

(١) ديوان حافظ ـ مصدر سابق ج١ ص ٢٥٣ .
(٢) ديوان حافظ ـ مرجع سابق ج١ ص ١٤٠ من قصيدة " تحية الشام "ص ١٣٣ .

ولعلـــي بهذه الإطالة أكون قد قدمت إضاءة على شاعرية حافظ إبراهيم ، وكيف أضحى ملء السمع والبصر .

*****

الباب الثانى :الكتاب فى ميزان النقد

الفصل الأول :العــرض والمنهــج

أولاً : العــرض :

بعد "كتاب شعر حافظ" للمازنى ، حلقه متقدمة من حلقات النقد الأدبى الحديث ، وهــو يقع فى ستين صحيفة من القطع المتوسط طبع مطبعة "البوسفور" سنة١٩١٥م، وهو عــبارة عن مجموعة مباحث فى شكل مقالات ، قدم أولها المازنى ، بمقدمة، وزيل بخاتمة وقد بلغت هذه المقالات أربع عشرة مقالة ــ تفاوتت فى الحجم فيما بينها ، على أن هذه المقالات قد ربط الكاتب بينها فنياً ، فلم تستقل كل مقالة بالحديث عن موضوع واحد ، وإنما جعل المقــالات الثلاث الأولى ، للموازنة بين مدرسة المحافظين أو "المقلدين" كما يسميها المازنى ، ومدرسة "المجددين" من خلال الموازنة بين شكرى وحافظ ، وتمحضت المقالات الثلاث التالية للحــديث عــن سرقات حافظ ثم جاءت المقالات التالية للحديث ، عن " فساد ذوقه"، و" لفــته"، و "سقطاته"، و " الحشو والتكرار" ثم خص قصيدة " زلزال مسيِّنى " بمقالتيه الأخيرتين أما المقدمة ، فراح يدفع فيها عن نفسه ، مما يمكن أن يتهم به ، من التحامل على " حــافظ " راجع لأسباب شخصية ، فنفى أن يكون الباعث ضغينة لأنه لا توجد أيــة علاقة قائمــة بيــنهما من أى نــوع ، ويرى أن السر اتهامه بذلك إنما راجع إلى أمرين أولهما، أن المــذهــب الشــعرى القــديم ، هو ما اعتاده الناس وألفوه، وطالما واجهــوه ، عند نشر المقــالات مــدافعين عن حافظ لقولهم "لم يخطئ حافــظ ، وإنما اتبع العرب ، وقد ورد فى أشعارهم أشباه ذلك". وأما ثانيهما : أن الناس ألفوا المجاملة فى النقــد ، ولم يألفوا صراحة وتوخــى الصدق ، فسيرون فى نقده لحافظ تحاملاً من هذه الزاوية ، ومن ثم فهو يحاول أن يدفع عن نفسه تهمته ويبين أن ذلك راجع لأنه يوازن بين المذهب الجديد ، والمذهب القديم ، غير أنه على أهمية دراسة الأدب القديم بشرط ألا تذوبه شخصيتنا ، ولا أن نقف فى محرابه وقوف العابد كأن العرب قد أصابوا فى كل شئ ، فلا ينبغى إلا أن نقصد قصدهم ، ونحذو حــذوهم وإنمــا ينبغــى أن نتصرف فيه تصرف الوارث الرشيد ، بل نستضئ بالقديم على استجلاء غوامض الطبيعة ، وإزاحــة حواجب الغمــوض عــن احساساتنا وخيالنا،ويمضى إلى بيــان مذهبه الجديــد فى النقــد ملخصاً إياه بأن "يكون على الشــعر طابع ناظمــه

وميســـــمه وفيه روحه وإحساساته، وخواطره ومظاهر نفســـه، ســـواء أكانت جليلة أم دفينة ، شريفة أم وضيعة ، وهل الشـــعر إلا صورة للحياة ".(١)

ويقلل من أهمية الشعر السياسي ، فيراه صدى لما تكتبه الصحف ، ويرى أن كتاب الغرب ، فاقوا نقاد العرب فى فهمهم لطبيعة الشعر بنفاذ بصيرة ودقة تنقيب .

وفى مقالـــته الأولى:(٢) يشير إلى قضية "الطبع والصنعة" من خلال الموازنة بين "شكرى" و"حافظ".

فشكرى شاعر مطبوع ، لا يبالغ فى تحبير شعره ، ويصدر عن آمال النفس البشرية ، ويتـــناول أبسط معانى الطبيعة والعقل ، وأشدها ارتباطاً بالحياة ، واتصالاً بالنفس ، يسح بالشعر سحاً دون كد خاطر ، أو تهذيب وتنقيح ، معتمداً على سلامة الذوق وصدق النظر ، وسخاء الخيال ، وخصوبة القريحة .

وأمـــا حـــافظ ، فضـــعيف الخيال ، مضطرب الفكر ، شديد التعمل ، عاجز عن الابتكار مفرط التكلف ، كثير التأنق ، حذا حذو العرب فى شعرهم ، فقتلى التقليد وصار لسان حال الصحف يصدر عنها .

وفى مقالـــته الثانية:(٣) يمضى فى استكمال الموازنة السابقة ، بين حافظ وشكرى بعد أن هاجمه أنصار حافظ وأشياعه ، وبعد أن تناوله حافظ بلسانه وندد بمقالاته ، ويمضى فى وصـــف حـــافظ على أنه رجل أحب الشهرة ، وركبه الغرور فلا يريد أحداً أن ينقده وإنما دائماً يتوقع الثناء عليه .

ويمضى فى تعداد المآخذ على حافظ من ناحية "الموضوع أو الغرض" فيرى أن شعره قاصـــر علـــى المدح والرثاء ، ونظم منثور الأخبار ، وصوغ مقالات الجرائد ، وأن أنصاره

---

(١) مقدمة كتاب (شعر حافظ) بقلم / إبراهيم عبد القادر المازنى الطبعة الأولى مطبعة البسفور ١٣٣٣هجرية ـــ١٩١٥م ص٢ وما بعدها

(٢) راجع : شعر حافظ ص٨ ومابعدها

(٣) راجع شعر حافظ ص١٠ ومابعدها .

يــرون فى وصــفه لزلــزال "ميسينى "(١) و"حرب اليابان"(٢) وحادثة "دنشواى"(٣) وقصائده الداعية إلى البر ما إليها أنه جدد فى موضوعاته ، وطرق ما لم تطرقه الأوائل ، ويرى أنــه لا جديــد فى ذلك ، فالعرب منذ القديم ، نرى أن الشعر ديوان أخبارها ، وأيامها ، ووقائعهــا ، ويمضى فى انتقاصه ، وتعداد مثاليه ، فسرقاته لا يخطئها العد ، إضافة إلى رداءة وصــفى ، وسقم تشبيهه ، ثم يستشهد ببيتين ، يرى فيهما من ثقل الروح ، وبرود الفكاهة وجمــود الخــيال ، ما لا يخفى على العامى فضلاً عن الأديب ثم يعود للموازنة التطبيقية بين شــعره وشــعر شــكرى، ويختــار موضــوعاً واحــداً تــناولاه فى شعرهما، وهو وصف "الفونوغراف"(٤) ويفضل شكرى عليه .

وفى مقالته الثالثة:(٥) يستمر فى هجومه على حافظ ، فيرى أن شعره جناية على الأدب ، وأن الأولى به أن يجمعه فيحرقه ، ثم أنه ليس بصاحب رأى ، وإنما إمعة يتبع وجهة نظــر الناس فحيث ساروا ، يسير ، وذلك ليس رياء ، وإنما عجز منه أن يستقل برأى ، أو يفكر فى شأن ، فهو دون ذلك بكثير وبعيداً عن الهجوم الشخصى الذى ينفيه فى نهاية المقالة ، ويــؤكد أنه قصد شعره ، ولم يقصد شخصه ، فهو رجل فكه ظريف ، كان الأولى به أن يحب ، لولا تورطه فى الشعر ، الذى شجعه عليه الإمام ، فورطه فى المحال .

الــذى يعنينا فى المقالة بعيداً عن الهجوم الشخصى ، الجانب الفنى ، وفيها عرض للغلو والمبالغة فى عدد من أبيات حافظ يوردها ويعلق عليها ، ويرى فيها مبالغات سخيفة ، تضلل النفس، وتغرر بها ، وتدلس عليها .

أمــا مقالاته الرابعة(٦) والخامسة(٧) والسادسة(٨) ، ومطلع السابعة(٩) :

---

(١) زلزال ضرب إيطاليا فى القرن الماضى ، وكان زلزال مروعاً .

(٢) الحرب التي نشبت بين اليابان وروسيا مطلع القرن الماضي فبراير ١٩٠٤م وانتهت في سبتمبر ١٩٠٥م .

(٣) الحادثة المعروفة في التاريخ المصري الحديث .

(٤) الفونوغراف "الحاكى" وهو جهاز يعمل باسطوانات ، أشبه بجهاز التسجيل

(٥) راجع : اشعر حافظ للمازنى ــمصدر سابق ص١٣ ومابعدها

(٦) راجع :شعرحافظ للمازنى ص١٧ ومابعدها

(٧) المصدر الســابق ص٢١ ومابعدها

(٨) المصدر الســابق ص٢٥ ومابعدها

(٩) المصدر السابق ص٣٠ ومابعدها

فهــى لتعداد سرقات حافظ من خلال سرد أبيات مختلفة ، ثم ذكر أبيات لشعراء متقدمين علــيه ليثــبت سرقته على حد تعبيره ، وهو موضوع سوف نفرده بالمناقشـــة والتحليل فى مبحث تالى .

ومن السابعة وحتى الثالثة عشرة:(١٠) يفردها للحديث عن أخطاء حافظ اللغوية والنحوية والتركيبية ، والحشو والزيادة ، ويرى أنه قد افتقد شروط الصحة التعبيرية ، وخانه الــذوق السليم، وعلى هذا النحو يمضى فى مقالاته مدعياً أنه يرد على رسائل تأتيه ، ولسنا ندرى أهى رسائل حقيقية وضعها بين أقواس، ونسبها لقرائه ، أم هى رسائل من وحى الخيال الغرض منها إضفاء جو من التفاعل على مقالاته بينه وبين القراء .

وأمـــا في المقالــتين الأخيرتين (١٠): فيختص بهما مقيدة واحدة لحافظ هى مقيدة "زلزال مسينا" وسوف نفرض للموضوعية من عدمها حولها فى مباحث تالية ، ثم علق بهامش أو خاتمة ، أكد أن مشكلة حافظ أنه استسلم لبريق الشهرة وأن شهرته أكذوبة غطت على رداءة شعره ، واكتسب جودته من شهرته لا من إبداعاته .

هذا عرض سريع لما حواه كتاب "المازنى" شعر حافظ. وسوف نتناول أهم قضاياه فى شئ من التفصيل فيما بعد .

ثانياً : المنهج :

الكتاب الذى بين أيدينا ، كان فى الأصل مجموعة من المقالات التى نشرها المازنى فى جــريدة "عكاظ" فى المدة بين عامى " ١٩١٣-١٩١٥"(٢) متفرقة، وأضاف المازنى إليها كــتابات أخــرى ليستطيع إخراج هذه المقالات فى صورة كتاب وقد وفق إلى حد كبير فى الــربط بين هذه المقالات ، وسلسلها فى الكتاب مراعياً الارتباط الفنى بــين أجزائه لتبدو متماســكة ، وتفضى بعضها إلى بعض ، وقدم لهــا بمقــدمة ، وأنهاها بخاتمة ، فأخذت هذه المقالات بما أضـــافه إليهــا شكل الكتاب وجعله بعنوان "شعر حافظ".

---

(١٠) المصدر السابق ص٣٤ ومابعدها

(١) راجع : شعر حافظ للمازنى مصدر سابق ص٥٢ ومابعدها.

(٢) راجع : مقدمة الكتاب ص٢ .

والحق أن العنوان أكبر من المحتوى ، فالذى يعنون الكتاب بعنوان " شعر حافظ" كان لزاماً عليه أن يخضع شعر حافظ جميعه حصراً ، أو عن طريق الانتخاب والانتقاء ، ليقوم هذا الشعر تقويماً موضوعياً ، ويضع حافظ بين شعراء زمانه بماله وما عليه ، لكنا وجدنا " المازنى " عرض للجوانب الضعيفة فى شعر حافظ ، وسلط الأضواء عليها ، وراح يحصى سقطاته وإحالاته ، وما رآه من تهافت فى شعره فى صورة متحاملة ، ليحط من قدر حافظ الشعرى ، وهذا لعمرى عمل غير موضوعى يؤخذ على المازنى فى نقده هذا ، وقد اختار المنهج التحليلى ، فعرض لشعر حافظ منتقياً أضعفه وسلكه فى موازنة بينه وبين شعراء العربية فى عصورها المختلفة " أمرؤ القيس، وجميل بثينة ، والمتنبى ، والبحترى ، وأبو العلاء المعرى ، وبشار بن بردى ، ومسلم بن الوليد ، والشريف الرضى ، وأبو تمام، وابن المعتز ، ومهيا والديلمى والأبيوردى ، وصردر ، والتميمى، والجرمى ، والسرى الرفاء ، والخوارزمي ، وعبيد الله بن طاهر ، ومحمد بن بشير الخارجى ، ومحمد أبى عطاء السندى ، ومحمد بن سهل ، ومويلك المزموم ، والهمزانى ، والبارودى ، وشكرى ".

وقد هدف فى موازنته إلى بيان تهافت شعر "حافظ" بالقياس بكل هؤلاء . وهو لا يتعامل مع قضية واحدة كوحدة مستقلة ، ولكن ، قد يعالج الموضوع الواحد فى أكثر من وحدة "مقال" ، وقد يشغله الاستطراد ، والجرى وراء الدقائق والجزئيات تحت الموضوع الواحد ، إما استعراضاً لقدراته ، أو لمزيد من التأكيد على تهافت شعر " حافظ" كما فعل عند حديثه عن "السرقات".

وكتاب "شعر حافظ" غير مقسم إلى أبواب أو فصول بل إن وحداته المستقلة بلا عناوين ، وإن شملت الوحدات موضوعاً رئيسياً ، لا يجعل له عنواناً ، وإنما يتصدر حديثه ، ويستمر فى الوحدات التالية ، إلى أن يشعر أنه قد استوفاه . كذلك فإنه يذكر معلوماته واستشهاداته مرسلة دون إحالات إلى مصادر ومراجع ، ولذا فقد خلا الكتاب من الهوامش والفهارس ، بل قد يذكر أشعاراً أو أقوالاً دون أن ينسبها إلى أصحابها ودون تحديد أية بيانات عن مصادرها .

وهو فى منهجه "انتقائى" كما ذكرت لكنه ينتقى من شعر "حافظ" ما يراه ساقطاً أو مرزولاً ، وأحكامه تميل إلى التعميم ، وتحتاج فى كثير منها إلى مراجعة ، وهو يحكم رؤيته الخاصة للشعر ، ويحاسبه "حافظ" من خلال ، فهو خصمه وحكمه، ومن ثم افتقد منهجه

الموضوعية ، التى تستدعى وضع شعر حافظ فى ظرفه الزمانى ، وفى مكانه من خريطة الإبداع المصـــرى ، دون أن يقـــاس على منهج الرومانتيكية الذى تبناه "المازنى" ولم يكن له بعد أية جـــذور إبداعية ، كما رأينا أن المنهج الذى افترضه "المازنى" فى حكمه على شعر "حافظ" لم يخلص له أصحابه على مستوى التطبيق ، وأقصد بدعاته "المازنى" و"شكرى" و"العقـــاد" ، فقد انصرف "المازنى" من حلبة الشعر مبكراً ، وتبعه "شكرى" ، وظل "العقـــاد" يغرد وحده ، لكنه لم يلتزم بالسلك الذى نظروا له.(١) فليس من الموضوعية فى شئ أى يحاكم " حافظ " علـــى وجهـــة لم تكـــن قـــد انبعثت شعلتها بعد ، ولم يستطع أصحابها الإخلاص لها بعد سطوعهـــا .

كـــذلك ما يؤخذ على منهج "المازنى" أنه كان يجتزئ البيت أو الأبيات وفق سياقه هو ، وهذا ما يخالف طبيعة النص ، الذى كان يدعو المازنى فيما دعا إليه أنه وحـــدة واحدة ، وقد عاب "وحدة البيت " فى القصيدة التقليدية ، وها هوذا يفرد بيتاً واحد أو مجموعـــة من الأبيات من قصـــيدة واحدة ، ويحاسبها فى سياق منفصـــل .

كـــذلك كان المازنى عنيفاً حادان بدأ تحامله من أول سطر فى كتاباته فلم نره ناقداً يلبس مسوح القاضى المنصف الحصيف بل نراه يتصيد الأخطاء ، ويحتد فى وصف "حافظ" فى سخرية لازعة مـــرة ، حتى يبدو "حافظ" لمن لا يعرفه ، رجل اجترأ على حرمـــة الشعر ، وولج بابـــا لا يحسن الولوج إليه ، بل سارق ومحتال، وغـــبى ، عيي فى ذوقه فليس له أية مزية فى دنيا الشعراء ، والأولى أن يخرج من واحتهم ، لأنه ليس منهم ، وهذا بالقطع لا يدل على خلاف مذهبى ، وإنما أثر من أثار الهوى الشخصى على أننا لا نغفل أن الكتاب قد صدر ســـنة ١٩١٥م. ومن ثم فيقف فى نقده لحافظ عند هذا المدى الزمنى ، لكنه من المعروف أن إبداعات "حافظ " استمرت حتى سنة ١٩٣٢م، ومن ثم فتقويم الكتاب لشعر "حافظ" كان عند حدود ما أبدع حافظ حتى زمن المقالات والكتاب ، وتقويمنا للكتاب للوقوف على كل منهج من مناهج النقد ورؤية من رؤاه ، كانت ابنة العقد الثانى من القرن العشرين .

---

(١) راجـــع الشعر الاجتماعى فى مصر بين ثورتى عرابى ويوليو ـــ دراسة وتحليل مخطوط فى كلية اللغة العربية بأسيوط ص ٢٠٩ .

الفصل الثانى

وقفات تقويمية للكتاب

الوقفة الأولى :

المذهب القديم والمذهب الجديد :

وهى القضية التى طرحها "المازنى" فى مقدمة كتابه ، ويقصد بالمذهب القديم "مدرسة المحافظين " والتى كان من أهم أعلامها "شوقى ، وحافظ " ، وهى المدرسة التى جرت على منوال "البارودى" فى جريان القصيدة على النمط السامق المتمثل فى الشعر العربى إبان ازدهاره فى العصر العباسى ، والتى أحيت القصيدة العربية بعد موات العصر العثمانى ، يرى "المازنى" أن هذا المذهب لحظته الزمانية قد انتهت ، وعجز عن أن يلائم العصر والبيئة ، وآن الأوان أن تفسح خريطة الشعر للمذهب الجديد الذى دعا إليه المازنى ورفاقه ، وهو ما أطلق عليه " التجديدية الذهنية "، فهم يرون أن الشعر تعبير عن النفس الإنسانية فى فرديتها "وتميزها" وينظر إلى القصيدة على أنها كائن حى لكل جزئ من أجزائه وظيفة ومكان كوظيفة عضو الجسم فى مكانه ، وينعى على المذهب القديم " أن نقصد قصدهم وأن نحتذى مثالهم فى كل شئ ونحن لا نحيا حياتهم " لأننا مهما بالغنا فى تقليدهم فلن نستطيع أن نبلغ "مبلغهم من طريق الحكاية والتقليد".(١) وهذا لا يعنى أنه يدعو إلى التبرأ من القديم ويتخلص منه ولكن لنكتسب منه "الأصول الأدبية العامة التى لا ينبغى لكاتب أن يحيد عنها أو يغفلها بحال من الأحوال ــ كالصدق والإخلاص فى العبارة عن الرأى أو الإحساس ــ وهذا وحده كفيل بالقضاء على فكرة التقليد".(٢) إذن فالموزون الشعرى يجعلنا نستضئ بنوره وتستعين به على استجلاء وغوامض الطبيعة وأسرارها ومعانيها، ومن ثم فإن الأدب العصرى الذى يهدف إليه هو الذى "يذيب أحدنا نفسه ، ويعصر قلبه ، وينسج أماله ومخاوفه التى هى أمال الإنسانية ومخاوفها..ويعينه على الكشف عن نفسه وإزاحة حجب

---

(١) شعر حافظ للمازنى مصدر سابق ص ٣

(٢) المصدر السابق ص ٣،٤

الغمـــوض عن احساسات خيالية...".[١٠] بحيث "يكون على الشعر طابع ناظمة وميسمه وفـــيه روحـــه واحساساته وخواطره، ومظاهر نفسه سواء أكانت جليلة أم دقيقة،شريفة أم وضيعة؟ وهل الشعر إلا صورة للحياة ؟ .. أليس شرف المغنى وجلالته فى صدقه ".[٢] ولا ينبغى أن ننظر إلى القصيدة جملة لا بيتاً بيتاً ، وهذا يعنى أن المذهب الحديث ينادى بالوحدة العضـــوية ، لا وحدة البيت كما كان متعارفاً فى النقد القديم ، كما أنه لا يتحدث عن أمور خـــارج نفسه وذاته ، حتى الأمور الخارجة عنه إذا تناولها ، يخرجها من بؤبؤ نظرته الخاصة الذاتـــية ، ومـــن هنا فهو ينعى على الشعر السياسى ، الذى يتابع الأحداث؛ لأن الشعر فى نظـــره ليس ترداداً لما تكتبه الصحف ، وعليه ينسحب كل شعر المناسبات من مدح ورثاء "فمـــا فضـــل الشعر السياسى الغث الذى تأتوننابه الحين بعد الحين ، ... وهل كل فخركم أنكم تمد حون وترثون ذاك؟.

وأنتم لا تفرحون بحياة الواحد ، ولا تألمون لموت الآخر؟ ما أضيع حياتكم ؟.[٣]

وعلـــى الرغم من أنه لم يبين الكثير من الفرق بين منهج المدرستين ، وقدم هذا فى خطوط عامة كما أتاحته له المقدمة ، فإن الذى لا شك فيه ، أننا لا نستطيع أن نسلم تسليماً كـــاملاً بوجهة نظره ، فإن الشعر التقليدى ضعيف ومقلد ومهزول ، وينبغى التخلص منه ، كمـــا أننا لا يمكننا أن نسلم بعدم جدوى الشعر السياسى والاجتماعى ، فينبغى أن يشارك الشاعر فى الحياة العامة ، وطالما أنه مشارك فيها لابد أن ينفعل مع أحداثها ، ويعبر عن وجهة نظره فيما يجرى من حوله ، كما أن قصائد المناسبات ، وأن بدت فى معظمها محفلية إلا أننا لا نستطيع أن نتغاضى عن تفاعل الشاعر مع هذه المناسبات خاصة المناسبات القومية والدينية ، وكذلك رثاء الأعلام والأفذاذ من قدموا لوطنهم عصارة حياتهم ، فهؤلاء يحتلون مكانة فى نفـــوس الـــناس جميعاً ، وليس الشعراء بدعاً بين خلق الله حتى لا يتأثروا بأصحاب الأعمال الجلـــيلة فـــتكون قصـــائدهم نفثة أهه ، أو إشارة معجب ، بأعمال هؤلاء ، وهم بذلك إنما يـــرسمون طرق المثل العليا للأجيال القادمة، وإذا كنا نسلم بأن الشاعر ينبغى ألا يغفل ذاته وأن يعبر عنها ، وعن تجاربه الخاصة .

---

(١٠) المصدر السابق ص ٤

(٢) شعر حافظ ـــ مصدر سابق ص٦

(٣) شعر حافظ ـــ.مصدر سابق ص٦

فإننا فى الوقت ذاته نرى أن المبالغة فى انكبابه على الذات خطر على الشاعر يحجبه عن العالم من حوله فيعيش فى قفص زجاجى ، أو برحى عاجى ، فتقد الحياة حكمته وتنحسر عن الكون كلمته ، ويصير فرداً أنانياً يعيش لنفسه فقط .

علـــى أن الذى يعنينا أن اختلاف المذهبين داع لعدم رضاء كل منها عن الآخر ، خاصة إذا افتقد الناقد موضوعيته ، وتعصب لمذهبه ، وهو ما فعله " المازنى" فهو بعرف سلفا أن مذهـــبه الشعرى والنقدى ، يخالف مذهب "حافظ" ، ومن ثم فإن إبداع حافظ لن يحظى بالقبول لديه ، فإذا أضفنا ، ما لحظناه من توجه ظاهر لدى " المازنى " ضد" حافظ " أدركنا أننا فى سبيلنا إلى فقدان الموضوعية ووضوح التحامل .

حـــاول "المـــازنى" أن يحـــاكم "حافظ" وفق رؤاه النقدية التى أشرنا إليها،واختار للمـــوازنة معـــه شاعر ينتمى بروحه وفكره وإبداعه إلى مدرسة "المازنى" ، وهو عبد الرحمن شـــكرى ، وهـــو شـــاعر كما يرى المازنى " فإن شعره وحى الطبيعة ورسالة النفس " وأن خـــروجه على القالب القديم إنما نتيجة طبيعية لتمادى الشعراء الذين سبقوه فيه ، وحافظ عـــنده لسان حال الصحافة ، لا يكتب إلا حين يستكتب فهو ضيق الأفق ، متخلف الخيال غير أن الذى يستوقفنا وهو يوازن بين ديوانى "حافظ" و"شكرى" مقولته " وحسب القارئ أن يتأمل ديوانيهما ليعلم ما بينهما من البعد ، وليرى كيف ينصر الخيال بحافظ ، ويسمو بكشرى فى سماء الفكر ". وأعتقد أن الخيال والفكر لا يتوافقان ، فالفكر أخو العلم أو هو نـــتاجه ، يعتمد على الحقيقة ، إذن فكيف يحلق بالخيال فى سماء الحقيقة ، الحق أننا رأينا عند شكرى على وجه الخصوص أنه أميل إلى المنطقية والحقيقة فى شعره ، وتخيله فيها لا يزيد عن تحلـــيلها بشـــكل فلسفى ، وغير خاف أنه كلما زادت العلمية فى الشعر كلما جف ماؤه ، ونضـــب خـــياله ، وهـــذا لا يتناســـب ، مع ما أراد المازنى أن يخلعه على شعر "شكرى" فالاستبطان الذاتى المعروف عن شعر شكرى شئ والتحليق بالخيال الشعرى فى أفق رحب شئ أخر فى نظرنا ، وعلى كل فقد اختار المازنى قطعتين شعريتين تتحدثان عن موضوع واحد عند الرجلين ليثبت صحة مقولته ، وليقول إن "شكرى" تفوق خيالاً وإبداعاً على "حافظ" ولمطابقـــة المقطوعتين ، نجد أن "حافظ" لم يشأ فى أبياته وصف "الحاكى" الذى هو موضوع المقطوعـــتين وصفاً مباشرا ، وإنما جعل كلامه إلى محبوبته، يقول لها ، لا تراسليني عن طريق وســـطاء مـــن البشر ففيهم من الوشاة من يقطع سبيل الهوى بيننا واجعلى رسولك إلىّ هذا

الجماد، فإنــه لا يتقول من عند نفسه .(١٠)

وجــدوا الســبيل إلى الــتقاطع بيننا ... والســمع بملكه الكذوب الحاذق(٢٠)

لا تجعلــى الواشــين رسلك فى الهوى ... فــلأ صــدق الرســل الجماد الناطق

أنــا شــكرى فقد عمد إلى وصفه مباشرة ، فرأى أنه قد خفض من قدر البلابل والعــنادل وأنه استحضر صوت المقبور ، فهو الأعجم الناطق بالألحان من خلال إبرة تخط أعطافــه كالــباحث عن الســر ، فيروى أحاديث من مضى ، كالمستذكر والمسترجع لمــا فــات .

هــل علــم الفــريد فى ذكــره ... شــأن الــذى خفض من قدره(٢)

وهــل درى المطــرب مــاذا الذى ... يستحضــر الملحــود مــن قــبره

يــا عجــبا مــن ناطــق أبكــم ... تأتلــف الألحــان فى صــدره

يســتخرج اللحــن بمســنونة ... تــزيل ذاك اللــبس عــن أمــره

تخــط فى أعطافــه أحــرفاً ... كأنهــا تــبحث عــن ســره

يــروى أحاديــث أنــاس مضــوا ... كأنهــا مــرت علــى فكــره

وكلا المقطوعتين لها جمالها فحافظ وصفه بأنه رسول الهوى ينقل إلى العشاق ألحان

---

(١٠) شعر حافظ للمازنى ـــ مصدر سابق ص١٣

(٢٠) ديوان حافظ ، مصدر سابق جـ ١ ص ٢٠٧ .

(٢) ديوان عبدالرحمن شكري ، جمع وتقديم نقولا يوسف ـــ طبعه على نفقته عبدالعزيز مخيون ص ٥٧

العشق المطربة ، واكتفى كل ذلك فى الشطر الثانى من البيت أما "شكرى" فقد راح فى ستة أبيات، يستحضر تفوقه ، ويعلن إعجابه ، ويعلى من قدره ، ويصف طريقة عمله فى صياغة فنية جيدة ، فقد أصابه كلا الشاعرين المحذ الذى قصد .

لكن "المازنى " يرى فى بيتى "حافظ" من السخافة والبعد عن الغرض ما فيها ويرى فى أبيات "شكرى" أنها " أبعد غاية ، وأرشق معنى ، وأرق مكراً والطف تخيلاً " . وهذا يظهر لنا منذ الوهلة الأولى أن " المازنى بدأ رحلة التحامل على "حافظ" ، على أن الموازنة لتكون عادلة ، أن ينظر فيها إلى مجموع شعر الرجلين، لا أن أتخير مقطوعة واحدة ، لأعلن على الملأ تفـوق أحـدهما وسموقه ، فى مقابل تخلف الآخر ونفوقه ، والعجب أن "المازنى" أكتفى بهذا النموذج الفرد للتدليل عن وجهة نظره ، وراح يحصى على "حافظ " ما يراه تافهاً متخلفاً فى شعره ، مما قد نعرض له فى وقفاتنا التاليـة كل فى بابه :

الوقفة الثانية : "السرقات"

وهـى القضـية التى أولاها " المازنى " عناية كبيرة فى أكثر من ثلاثة مقالات راح يحصى على "حافظ" ما أخذه من غيره .

وقضية " السرقات" قضية قديمـة فى النقد العربى ، يـرى القاضى الجرجانى " إن السرق دائم قـديم ، وعيب عتيـق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخـر ويستمد من قريحته ، ويعتمد على معناه ولفظه ، وكان أكثره ظاهـراً كالتوارد ، وأن تجاوز ذلك قليلاً فى الغموض لم يكن فيـه غير اختلاف الألفاظ ".(١٠)

وأما الآمدى فيقول " إن من أدركه من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعـانى من كبير مساوئ الشعراء ، وخاصة المتأخرين منهم ، إذا كان هذا باباً ما تعرى منه متقدم ولا متأخر ".(٢٠) ، كما أنه لم يسلم أكابر الشعراء من رميهم بالسرقة وانتهاب أفكار غيرهم ، وهى أشد وأقسى ما يتهم به الفحول الموهوبون وكثيراً ما يكون هذا الرمى من أثر

---

(١٠) الوساطة بين المتنبى وخصومه ــ القاضى أبو الحسن الجرجانى تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي طبعة عيسى البابي الحلبي ص٢١٤.

(٢٠) الموازنة بين أبي تمام والبحترى ــ للآمدي ــ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد طبعة عيسى البابي الحلبي ص ٢٧٣ .

التهافت والحسد ، ومحاولة الثلب والانتقاص من غير دليل ينهض على صحة هذا الاتهام[١] ، وأما العسكرى فقد عقد الفصل الأول من الباب السادس من الصناعيتين فى "حسن الأخذ " رأى أنـه " ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعان ممن تقدمهم ، والنصب علـى قـوالب مـن سبقهم ، ولكن عليهم إذا أخذوها ، أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ، ويبرزوها فى معارض من تأليفهم ، وبوردوها فى غير حلبتها الأولى ، ويزيدوا فى حسن تأليفها وجـودة تركيبها ، وكمال حليتها ، ومعرضها فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها ..".[٢] وقد يقول قائل هذا رأيـه النابع من تفضيله اللفظ على المعنى ، فهو من مدرسة "الجـاحظ" الـذى يرى "أن المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العربي والعجمى والبدوى، والقروى .... إلخ ".[٣] ومن رأى أن ابتكار المعانى ليس ميزة تضاف إلى صاحبها ، وإنما العـبرة بالصـياغة والنظم وجودة السبل ، نقول " أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعانى بينهم فليس على أحد فيه عيب ، إلا إذا أخذه بلفظه كله أو أخذه فأفسده ، وقصر فـيه عمن تقدمه ".[٤] وذلك راجع في رأيي إلى أن الشاعر إنما يثقف نفسه ، على دواوين مـن سبقوه من الشعراء ، عن طريق قراءتها واستظهارها ، وتصير هذه الدواوين، جزءً من المخـزون الثقافى ، والمحصول المعرفى فى ذهنه ، وقد يسبق إليـه معنى ، أو جملة شعرية ، أو تصويراً ، يقفز من ذاكرته إلى إبداعه ، دون أن يكون على وعى بذلك ، لكثرة ما استظهر وحفظ، وما علق بذهـنه من آثار قراءاته وإطلاعاته الواسعة وهو قطعاً لن يقدم نتاجاً شعرياً مسـروقاً بالكلية ، ولا يمكن أن نتجاهل بـروز هـذا المحصول الثقافى فى ثنيات إبداعه ، وهذا ما دعى ابن رشـيق إلى القول " اتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معـنى سبق إليـه جهل ، والمختار لـه أوسط الحالات ".[٥] وعليه فحافظ إبراهيم ليس بدعاً بين الشعراء، ولا هو حلقة مفصولة أو معزولة فى تاريخ الشعر العربى، حتى لا يقع فى شعره مثل هذا التوافق أو التضمين ، وقد أورد المازنى " حوانى أربعين معنى شعرياً أشترك فيها

---

(١) السرقات الأدبية د/ بدوى طبانة ــ دار الثقافة بيروت . ط. ٣ ص ٣٧ لسنة ١٩٧٤ .

(٢) الصـناعتين ــ أبو هلال العسكرى ــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ــ منشورات المكتبة العصرية صيدا لبنان ١٩٨٦م ص ١٩٦ .

(٣) الحيوان ــ للجاحظ مكتبة الخانجي القاهرة تحقيق عبدالسلام هارون جـ ٣ ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٤) السرقات الأدبية ــ مرجع سابق ص ٤٣ .

(٥) العمدة : لابن رشيق ــ دار الجيل ــ بيروت لبنان ــ طبعة ٤ ١٩٧٢م ج٢ ص ٢١٦ .

" حافظ " مع شعراء سبقوه اقمه بالقصد إليهـا وسرقتها ، منها ما أفاد منها وأعاد صياغتها ، أو أضـاف إلـيها ، ومنها ما كان البعد ظاهراً بين معنى حافظ ، والبيت الذى يشير إليه "المازنى" بالسرقة ، ومنها ما وقع عليه وقوعاً جافاً لا يضيف إليه شيئاً ، ولنضرب لذلك أمثلة فمن الأول .

لـيت شـعرى هـل لنا بعد النوى — مـن سـبيل للقـا أم لات حين(١)

من قول بشـار :

يـا ليت شعرى وقد شط المزارهم — هـل تجمع الدار أم لا نلتقى أبدا(٢)

وقـولـه :

إنى فـتاك فـلا تقطـع مواصلة — هـبنى جنـيت فقل لى كيف اعتذر(٣)

إنى فـتاك فـلا تقطـع مواصلة — هـبنى جنـيت فقل لى كيف اعتذر(٤)

وقـول جميل :

فـإن لم يكـن قولى رضاك فعلمى — نسـيم الصبا يابثن كيف أقول(٥)

فـإن لم يكـن قولى رضاك فعلمى — نسـيم الصبا يابثن كيف أقول(٦)

---

(١) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ ج ١ ص ٢٤٤ .
(٢) ديوان بشار ــ دار صادر بيروت ، لبنان ص ١١٢ .
(٣) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ ج ٢ ص ١٣٣ .
(٤) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ ج ٢ ص ١٣٣ .
(٥) شرح ديوان جميل بثينة ــ مهدي محمد ناصر الدين ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان ١٩٨٧م ص ٦٨ .
(٦) شرح ديوان جميل بثينة ــ مهدي محمد ناصر الدين ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان ١٩٨٧م ص ٦٨ .

وقـــوله

ولـــولا ســـورة للمجـــد عـــندى فـــنعت بعيشـــى فـــنع الظليم[١]

وقول امرئ القيس :

ولـــو أن مـــا أسعى لأدنى معيشة كفـــانى ولم أطلـــب قليل من المال[٢]

فلحافظ صياغته الخاصة التى تتفوق أو تتساوى مع أبيات سابقين وهذا كثير فيما أورد "المازنى" من سرقات لحافظ .

أما الثانى : فمن مثل قوله :

فواهفـــى والقـــبر بـــينى وبينه علـــى نظـــرة من تلكم النظرات[٣]

وإدعاء "المازنى " أن مسورق من قول الجرمى .

أحقـــا عـــباد الله أن لســـت رائـــيا رفاعـــة بعـــد الـــيوم إلا توهما[٤]

فغير خاف تكلف السرقة بين البيتين .

ومن الثالث : وهو قليل أيضـــاً .

قول حافظ :

لا تعـــين باشـــكيب دبـــيبى إنمـــا الشـــبح مـــن يدب دبيباً[٥]

---

(١) ديوان حافظ ـــ مصدر سابق ـــ ج ١ ص ١٦٢

(٢) ديوان (امرؤ القيس) دار صادر ـــ بيروت ، لبنان ـــ بدون طباعـــــة ص ١٤٥ .

(٣) ديوان حافظ ـــ مصدر سابق ـــ جـــ ٢ ص ١٤٤ .

(٤) هـــو رقيـــبة الجرمـــي ـــ راجع البيت في شرح ديوان الحماسة ـــ بشرح التبريزي الخطيب ـــ عالم الكتب بيروت لبنان . بدون تاريخ مجلد ٢ جزء ٣ ص ٢١.

(٥) ديوان حافظ ـــ مصدر سابق ـــ ص ١٦٠ .

وقول الشاعر أوس الحنفى :

زعمـــتنى شـــيخاً ولســـت بشـــيخ إنمـــا الشـــيخ مـــن يدب دبيباً[١٠]

وهو غير خاف على حافظ تضمينه لجزء البيت الذى هو شاهد نحوى معروف .

هـــذه بعـــض من إيرادت "المازنى" متهم حافظاً بالسرقة فيها نقول للمازنى ، وأن المواضـــع التى أحصيتها لو سلمت لك جميعها ما عابت ديواناً يعد سفراً شعر يا مثل ديوان حافظ ، ولعل الذى رمى به " المازنى " "حافظ" كان شيئاً زاول "المازنى " فعله ، لكنه لم يعمد إلى التراث العربى ليسرق منه وهو قريب للكثيرين ، وفى متناول أيديهم ، وله من أعدائه ن من يتصيد له وبفضحه لو حاول السطو على التراث ، فاتجه إلى التراث الغربى ، فهذا صديقه " عبد الرحمن شكرى" يعد سرقاته من الأدب الغربى ، فقصيدته ـــ فتى فى سياق الموت ـــ مأخـــوذة مـــن قصيدة لـــ"توماس هود" الشاعر الإنجليزي ، وقصيدة " قبر الشعر" هى من الشاعر الألمانى "هينى" ، وقصيدة "الذكرى " للشاعر الإنجليزى "تبنسون" وقصيدة "الوردة الرســـول " مـــن الشاعر الإنجليزى " وولز " ، وقصيدة "الراعى المعبود" للشاعر الأمريكى "لويل" ، والشاعر "المحتضر" من قصيدة " أودينى " للشاعر الإنجليزى "شلى" وغيرها ، ومن الغريب أن المازنى رد على شكرى حين واجهه بسرقاته تلك ، باعتراف مثير هو أن القصائد ليست له ، ولكنه نظمها، وهو يظن أنها له ذلك لأنه حفظ المعانى ونسى أنها لغيره[٢] ففى الوقت الذى يزرى من قدر "حافظ" لتوافق بين معانى بعض أبياتـــه، وأبيات شعراء سابقين عليه ، إذ هـــو يغفـــر لنفسه ، السطو على أعمال كاملة تحت مظلة النسيان !! .

الوقفة الثالثة :

فساد الذوق واضطرابه :

---

(١٠) هـــو: أبو أمية أوس الحنفي ، راجع البيت المذكور في (شرح شواهد المغني) للإمام السيوطي ـــ لجنة التراث العربي (القسم الثاني) ص ٩٢٢ .

(٢٠) راجع تفاصيل ذلك فى "السرقات الأدبية " بدوى طبانه مرجع سابق ص١٢٧ وما بعدها .

وقد استغرق ذلك حوالى ثلاثة مقالات أو مباحث من مباحث الكتاب ، والحق أن "المازنى" حاول أن يتصيد "لحافظ" ما يؤكد وجهة الأول فى فساد ذوق الثانى ، وسوف نقف مـع هـذه المآخـذ لنرى ما كان المازنى فيه محقاً ، وما كان فيه متحاملاً : وقد حاولت أن استقصى أطراف هذه المآخذ كما رأها المازنى " ، فرأيت أنه ركز على :

أولاً: الخروج على القواعد النحوية :

ويذكر المازنى الأمثلة التالية للتدليل على ذلك قول "حافظ".(١)

أغمضـت عينـيك عـنها وازدريت بها   قـبل الممـات ولم تحفل بموجود

وقـولـه : (٢)

وانى كـتابك يـزدرى   بالـبـدر أو بالجوهـر

يقول " فأخطأ ... لأن الفعل يتعدى وليست به حاجة إلى حرف الجـر".

وفى تعليقه على البيت الثانى :

"فـإن قـوله يزدرى بالدر خطأ والصواب يزدريه ، وأعتقد أنه يمكن للشاعر أن يضمن المتعدي معنى اللازم ، فيتعدى بحرف الجر ، وعليه يمكن أن يضمن " يذدرى " معنى " يذرى" وعندئذ تتعدى بالباء ولا شئ فى ذلك .

ويأخذ عليه قوله : (٣)

ولا تنسـى مـن أمـس بقلب طرفه   فلـم تـر إلا أنت فى الناس عيناه

حـيث جعل ما بعد إلا ضمير رفع ، والصواب أن يقول إلا إياك أو إلاك ، وهو مأخذ له محله من القبـول .

---

(١) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ جـ ١ ص ١٣٩

(٢) المصدر السابق ــ جـ ١ ص ١٩١ .

(٣) المصدر السابق ــ جـ ١ ص ٣٨

ويأخذ عليه كذلك فى قوله :(١٠)

هـبوا الأجـير أو الحـراث قد بلغا حـد القـراءة فى صحف وفى كتب

يقول (فإن قوله قد بلغا من مستغربات الزمان، وذلك أنه جعل " أو " بين الأجير الحراث ، فكان ينبغى أن يقول بلغ ، وقد كان يجوز له أن يقول "بلغاً" لو أنه عطف بالواو لا بأو ، ولكن حافظاً كما قلنا لا يعرف فرق ما بين ــ الواو ــ وأوّ ". على أن هذا المأخذ يمكن أن يرد عليه بأن " أو " قد تضمن معنى "الواو" وفى هذه الحالة تأخذها حكمها ، وينتفى ما أخذه "المازنى" على " حافظ " هنا .

ويأخذ عليه قوله :(٢٠)

وعـين الـيم تنظـر للـبخار بنظـرة واجـد قلـق الـرجاء

يقـول " وقد أخطأ فى قوله بنظرة واجد ــ والصواب حذف الباء" ومن الممكن قبول البيت كما أورده حافظ على معنى " بهيئة ناظر" .

ويأخذ عليه قوله :(٣٠)

رجـوتك مـرة وعتـبت أخـرى فـلا أجـدى الـرجاء ولا العـتاب

يقـول الصـواب أن يقول " فما " بدل " فلا ". ولكننا نقول أن العرب تستخدم أحـياناً (لا) بمعنى (ما) ، وعليه نكون قد سلمنا بمأخذ لغوى واحد مما أخذه "المازنى" على "حافظ".

---

(١٠) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ جـ ١ ص ٢٢٦ .

(٢٠) القصيدة ساقطة من الطبعة التي بين أيدينا ، ويبدو أنها من أوليات شعره التي غابت عن الديوان عند جمعه وتحقيقه بعد وفاته .

(٣٠) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ جـ ١ ص ١٦٦ .

ثانياً : استخدام صياغات لا تصلح للشعر :

من مثل قول "حافظ":(١)

أرى سمـو خديوينـا وقد بسطت   بالعـدل والـبذل يمـناه ويسراه

يقول "وليت شعرى أين كانت فصاحته وبيانه وذوقه حين قال " سمو خديوينا" ؟ .

ولا أدرى أيأخذ عليه استخدام كلمة أعجمية ، لا يغنى عنها بديل عربى ، أم يأخذ علـيه إضافتها إلى "نـــا" ؟. فلا أرى وجهاً لانتقاده ، "عادة ما توضع مثل هذه الكلمات فى القصائد بين الأقواس للدلالة على أنها غريبة على المعجم العربى .

أما المأخذ الثانى فى هذا الإطار فيرجع إلى استخدام الكسور العشرية من مثل ربع ، ونصف ، وما إليها .

كما فى قوله :(٢)

أرونى نصـــف مختـــرع   أرونى ربـــع محتســـب

وقــولــه :

جــرى بهـا الخصب حتى أنبت ذهباً   فلـيت لى فى ثراها نصف فدان(٣)

يقول " فإن ما علمنا أن فى العالم نصف مخترع ولا ربع محتسب " ، "وليت شعرى" ما هذا الولع بالحساب ، "ماهر السر فى ذلك".

ومهمـا يكـن من محاولة اصطياد المازنى لأخطاء "حافظ" نقول ليست هناك لفظة شعرية ، ولفظة أخرى غير شعرية ، ولو أنه عاب برود الذهن وفقر الخيال الذي يورثه مثل هـذا الاسـتخدام لكان مأخذاً ذابال ، أم نصنف الألفاظ ، فنجعل منها ألفاظ شـعرية ، وأخـرى لا تصلح للشعر ، فذلك غير منطقى إذ العبرة ، فى قدرة الشاعر على أن يخلع

---

(١) المصدر السابق ــ جـ ١ ص ٢١١ .

(٢) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ جـ٢ ص ١١٠ .

(٣) المصدر السابق ــ جـ ١ ص ٢٨.

على الألفاظ "الميتة" روحـــاً شـــعرياً تبعث فيها الحياة .

ثالثاً : الحشو والتكرار :

فيأخذ على "حافظ" قولـــه: (١)

ومـــن يطـــل على الأفلاك يرصدها   بـــين المـــناطق عن بعد وعن كثب

يقول " ليس فى العالم طفل لا يعلم أن علماء الأفلاك ... لا يرصدونها إلا عن بعد فهل رأى "جنابه" (٢) أحداً اصعد فى طيارة رصـــد الأفلاك عن قرب .." أى يريد أن يقـــول بأن قوله " عن بعد وعن كثب " لا معنى لها طالما أن الأفلاك لا ترصد إلا من بعد ، نقول ليته عاش حتى رأى الأفلاك ترصد من قريب ، وحينئذ ينتفى مأخذه على حافظ ، لكن نقول إن الفن يستشرف أفاق المستقبل بل قد يسبق العلم ويدله على الطريق .

ويأخذ عليه قوله : (٣)

فمـــا مطـــوقة قـــد نالهـــا شـــرك   عـــند الغـــروب إليه ساقها القدر

يقول "فإن قوله " عند الغروب " لا معنى له فهل كان فى بعض أيامه بومة أو غراباً فعلمته التجربة ، أن الوقوع فى الشرك عند الغروب أصعب منه فى العصر أو فى الظهر أو فى منتصـــف اللـــيل "... والحـــق أن حافظ أراد بقوله عند الغروب ، أى قرب جثوم الليل ، بوحشـــــته ، وفقدان أى مظنة للأمل فى الهرب ، وهذا ، ما يوضحه البيت التالى : (٤)

باتـــت تجاهـــد همـــا وهـــى آيسة   مـــن الـــنجاة وجنح الليل معتكر

ويأخـــذ عليه فى قوله :

---

(١) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ جـ ١ ص ٢٦٦ .

(٢) كلمة عامية ، يراد بها التفخيم ، وهو يستخدمها هنا للتعريض والسخرية.

(٣) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ جـ ١ ص ١٩٥ .

(٤) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ جـ ١ ص ١٩٥ .

أبــرئ عـــنه يعفـــو مـــذنب كـــيف تسدى العفو كف المذنب؟ (١)

يقــول " الشطران معناهما واحد . فلا ضرورة إذا إلى أحدهما ، ولست أدرى علة هذا الشغف بالحشو والتكرار ، وتأمل قوله من قصيدته بعينها ".(٢)

يشـــير إلى قــوله :

قلــت عــن نفســك قولاً صادقاً لم تشــب شــائبات الكــذب(٣)

وهنا لا أجد ما أدفع به عن "حافظ"، فالتكرار واضح فيهــا، وهو تكرار لا يضيف إلى المعنى كثيراً ، اللهم إلا إن كان مقصده التوكيد .

رابعاً : فســاد المعنى واضطراب الذهن :

ومن أمثلة ذلك قولــه :

قــد كــان قــدرك لا يحــد نباهة وســعادة فغــدا بهــا محدوداً(٤)

يقــول المازنى هذا أشبه بالذم منه بالمدح ،وأقرب إلى الهجاء والطعن ، والحق مع "المازنى" فالبيت فى معرض تهنئة "شوقى" بالحصول على رتبة ، فجعل قدره الذى لا يقف عن حد بدل أن تضيف إليه الرتبة ، فإذا بها جعلت قدره يتضاءل، وترسم له حدود لا يتعداها .

ومن أمثلته أيضاً : (٥)

يـــا همامـــا فى الـــزمان لـــه همـــة دفـــت عـــن الفطـــن

---

(١) المصدر السابق ــ جـ ١ ص ٣٩

(٢) راجع : الكتاب المحقق .

(٣) ديوان حافظ ــ المصدر السابق ــ جـ ١ ص ٤٠ .

(٤) ديوان حافــظ ــ مصدر سابق ــ جـ ١ ص ٥٠ .

(٥) المصدر السابق ــ جـ ١ ص ٣ .

يقول المـــازنى :

"فإن قوله دقت عن الفطن من المضحكات ، وذلك لأن الصلة التى تدق عن الفطن لابـــد أن تكون ضئيلة جداً لا تبين للمتوسم ..." الموقف موقف تعظيم بريد أن يعظم هذه الهمة ، فخانه التعبير والحق كذلك مع "المازنى" فى هذا المأخذ .

ومن ذلك قوله :

لـئن غــدا الدهــر بــنا مدبــراً　　　لابــد للمدبـــر أن يقـــبلا(١)

يعلق "المازنى" :

" من أعلم حافظاً أن المدبر لابد أن يقبل ، والعبارة نأت بحافظ عن مقصده فأوجب علـــى المدبر أن يقبل وليس كل مدبر بمقبل ، فالعمر يمضى ولا يعود ، واليوم ينتهى ، ويأتى يوم جديد ليس هو اليوم نفسه .

ومنها قولـــه : (٢)

رب لـــيل فى الدهـــر قـــد ضـــم نحسا　　　وســـعودا وعســـرة ويســـارا

يعلق " المازنى " .

" فهـــل يعـــرف ليلاً فى غير الدهر ، حتى قال " فى الدهر" وهل رأى ليلاً لا يضم سعداً ونحسا وعسراً ويسراً حتى قال "رب" أم تراه لا يعرف معنى رب ..". (٢)

وإذا كنا فيما أسلفنا من أبيات فيها اضطراب للمعنى أدى إلى غير المراد،ولم يوفق "حافظ" فى صياغته ، فإننا قد وجدنا كثيراً من الأبيات التى أدخلها المازنى تحت هذا السياق ، وعاب على حافظ " فيها سقم ذوقه واضطراب فكره ، وجدنا أن المازنى قد أقحمها فى هذا السياق إقحاماً ليزيد فى تعداد سقطات "حافظ" من ذلك قوله : (٤)

لا نحن موتى ولا الأحياء تشبهنا　　　كأننا فيك لم نشهد ولم نغب

---

(١) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ جــ ١ ص ٢٥٢

(٢) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ جــ ١ ص ٢٦٨ .

(٢) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ جــ ١ ص ٢٦٨ .

عاب تشبيهه "الأحياء تشبهنا " ورأى أن صوابه " ولا نحن نشبه الأحياء" فهو من التشبيه المقلوب الذى يزيد الأمر مبالغة .

ومنه قوله : (١)

إن يكـن غـاب عن جبينك تاج ... كـان بالغـرب أشـرف التيجان

رأى أنه أخطأ لأن التاج لا يكون على الجبين ، صحيح أن التاج يكون على الرأس لكن ارتباط المجاورة ظاهر فيه ، وقديماً قد عبد الله بن قيس الرقيات . (٢)

يعـتدل الـتاج فـوق مفـرقه ... علـى جـبين كأنـه الـذهب

وقد عاب عليه قولـه : (٣)

يكتسـون السـرور طوراً وطوراً ... فى يـد الكـأس يخلعـون الـوقار .

وهى صورة جيدة عابها " المازنى " إذ كيف يكون اللباس من خيوط السرور نسجه ، وهـل يعنى أن الناس كانوا فى يد الكأس ، لا أعتقد إلا أن التحامل ظاهر ، فلا يمكن أن يخفى "المازنى" حسن هذه الاستعارات وكيف تلعب الكؤوس بالرؤوس فتصير موجهة لها .

هذه صـور حاولنا أن نقف معها مما نقد فيه " المازنى" حافظ لنرى أنه كان محقاً فى جانب ، وأنه تحيف كثيراً ليثبت سقوط الرجل وتخلف شعره .

خامساً : وقفه مع قصيدة :

وهى قصيدة (حافظ) فى زلزال "ميسيفى" و"المازنى" يستشعر فى مقالته لأول وهلة ، أن الـناس يعظمون من شأن القصيدة ، ويعدونها من روائع شعر حافظ ، ومن ثم سيحاول

---

(١) المصدر السابق ــ جـ ٢ ص ١٦

(٢) ديوان عبدالله بن قيس الرقيات ــ دار صادر بيروت ، لبنان ــ ص ٦٧.

(٣) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ جـ ١ ص ٢٥٥ .

لفـــت أنظارهم إلى ما فى القصيدة من ضعف شابها ، وأول مأخذ في القصيدة أشار إليه بين ثـــنايا الحـــديث ، ولم يحدد مصطلحه ، لكن يفهم من كلامه أنه يعيب على " حافظ ضعف تجربته الشعرية ، وأنه لا يخرج عن أن يكون نائحة فى ميتم وليست بالقطع النائحة كالثكلى ، وهو وإن جمد تأثره ــ في رأيه ــ وتباعدت أحاسيسه إلا أنه لم "بفته أن يكون نائحة البلد ونادبـــة القوم ، يقولون له نح فينوح ، وابك هذا الرجل فيبكيه ، واندب هذا الحظ فيندبه ...". "ولكن دموعه أحف من أشعة الشمس لا يستبرها قلب ، ولا يستروح لسكبها فؤاد ...". ويمضى إلى أن "القصيدة من أولها إلى أخرها لا غرض لها ولا مرمى .....".

ويأتـــى إلى القصيدة فيجتزى منها بيتين ليؤكد أن "حافظ" "قد حاد عن القصد ، وخـــرج عـــن الغـــرض" ومن عجب رأيه فمذهبه الذى يتمذهب به نقدياً يدعو إلى وحدة القصـــيدة لا وحـــدة البيت ، وأن لكل فقرة فى القصيدة أهمية فى جسمها إذا فصلت عنها فقـــدت قيمتها المعنوية داخل القصيدة ، ويحاسب حافظ على قوله : (١)

غلـــيان فى الأرض نفـــس عـــنه ... ـــو إن فى البحـــر والـــبركان

وهو ينعى هذه العلمية التى تحدث بها حافظ فى قصيدته ، وكأنه يحرم على الشاعر أن يقـــرب مـــن البدهـــيات المعرفية فى صياغاته الشعرية ، ويمضى إلى الجزئيات اللغوية فى القصيدة ، التي قد أصاب فى بعض نقداته لها ، مثل قول حافظ : (٢)

فـــإذا الأرض والـــبحار ســـواء ... في خـــلاف كلاهمـــا غـــادر

والقياس غادر :

لكنه عاب قوله " خسفت ثم أغرقت ثم بادت (٢)" ، على أن ألفاظ بمعنى واحد متكرر ، وهذا ما لا يسلم له كذلك فكل مفردة تضيف للدلالة .

---

(١) ديوان حا فظ ــ مصدر سابق ــ جـــ ١ ص ٢١٦ وما بعدها .

(٢) ديوان حافظ ــ مصدر سابق ــ جـــ ١ ص ٢١٦ .

(٢) المصدر السابق ، والصفحة السابقة

وقد عاب قوله : غالها قبل الزمان اغتيالاً (١).

فرأى أن لا ضرورة للفظة " اغتيالاً " بعد غال وكأنه لا ضرورة لاستخدام المفعول المطلق في اللغة .كما عـاب قوله : (٢)

رب طفـل قـد سـاخ فى باطن الأرض ينـادى أمـى، أبي، أدركـانى

إذا لا يعقـل حسب رأى المازنى أن السـائخ فى بطن الأرض ينادى وكأن الشعر ينبغى أن يكون تعبـيرا حقيقياً مجرداً من الخيـال

سادساً : وقفة أخيرة :

ختم حافظ كتابه بخاتمة ليست بأقل من مقدمته هجوماً ، فحافظ ناظم صحافى تعمر قصـائده بالسرقات وفساد المعنى واضطراب المبنى ، وهو مغرور يركب رأسـه ، وطالب شهرة ويزهـو بها ويختال مما هو بعيد عن حظيرة النقد الموضوعى ،

فقدكنا ننتظر من " المازنى " وهو داعية مذهب ، ومؤسس مدرسة أن تأتى نقداته وفق منهجه الذى تبناه ، فكنا نود أن نرى نقداً منصب على وحدة القصيدة ، وصدق التجربة، والتعبير بالصـور والكلية مما بشر به وصاحباه فى مقدمة أجزاء دواوينها منذ طالعتنا ، لكننا وجدنا "المـازنى" لا يخرج فى نقده ، عن تهجم صريح على شخص الرجل ، والفتات على شعره ، وتصيد لأخطائه ، مما يفقد نقده موضوعيه ، ويقلل من أهميته ، كما رأينـاه يسير فى ركاب تـراثنا النقدى فى نقده لجزئيات القصيدة من خلال شذرات لغوية وأسلوبية ، فأين منهجه النقدى. إذن ولكن حسبنا أن الكتـاب يمثل صورة لحال النقد فى زمانه ، ويسجل عليه أنه لم يكن بعد قد ركب عمليا قطار التطـور في تفكيره النقدى إذن ولكن حسبنا أن الكتـاب يمثل صـورة لحـال النقد فى زمانه ، ويسجل عليه أنه لم يكن بعد قد ركب عمليا قطار التطـور في تفكيره النقدي .

(١) المصدر السابق ، والصفحة السابقة .

(٢) المصدر السابق ، والصفحة السابقة .

الخاتمـــــــــة

فحمداً لله على ما كان من عمل ، وشكراً له على ما وفر من طاقة وفتح ، ودعوات له أن يجعل عملنا خالصاً من الرياء ، نافعاً فى مضماره .

فلقد كان كتاب " شعر حافظ" للمازنى ، بالرغم ما فيـــه من التحامل غنياً بأفكاره ، مثيراً لقضايـــا من حوله ، مسجلاً لحال لنقد فى عصره وقد حاولت فى تنـــاولى أن أدخل الكـــتاب إلى حظيرة الدراسات النقدية بعد أن شغل النقـــاد عنه ، وقد حاولت من خلال الدراسات أن أقدم أضـــواء كاشفة على الشاعر والناقد ، وأن أقف وقفات متأنيـــة ، مع محـــتويات الكـــتاب وقد حاولت أن أرتدى مسوح القاضى فـــلا أسير فى ركاب "المازنى" فأتحيف على شعـــر "حافظ " ولا أدافع عن "حافظ " لمجرد الدفاع عنه .

فإن أك قد وفقت فما توفيقى إلا بالله

وإن كانت الأخرى فالكمال له وحده

وحسبى أنى حاولت مخلصاً وعلى الله قصد السبيل

وفى النهاية لا أملك إلا أن أرفع أكف الضراعة إلى الله أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه

الكريم وأن ينفع به

وأن يعيننا على السداد فى قابل الأعمال

أمين .